

ايليا حليم حنا

حياتك في العام الجديد

بقلم ايليا حليم حنا

***

مضى عام آخر من ايامنا ، وها نحن نستقبل عاما جديدا ... وقد اعتاد الناس ان يستقبلوا عامهم الجديد بالمرح والبشر حتى تكون كل ايامه سعيدة كبدايته ... كلما جاء عام جديد استقبلناه بقلوب مفعمة بالامل والتطلعات السعيدة ، بصدر منشرح ونفس متجددة وحماس شديد ، ونقول لانفسنا هذا العام لن يكون كغيره من الاعوام الماضية ، فاننا قد تعلمنا الكثير وازدادت خبراتنا وتجاربنا ولا بد ان نفيد من كل هذا ونتلافى كل نقص وكل خطأ وقعنا فيه ونضع الخطط والافكار لحياة احسن ، وعمل اكثر اتقانا ، ولانجاز اشياء سوفنا كثيرا في القيام بها .

صورة كاملة فاضلة نرسمها لانفسنا في مطلع كل عام جديد نرجو ان نحققها ، ولكن هل يكفي ان نرجو ونتمنى ؟ يجب الا يفتر ما نحس به في اليوم الاول من العام الوليد ، ينبغي الا نعود الى ما كنا عليه في العام الماضي من بعثرة قوانا ، واهمال قدراتنا. يجب ان نحترم انفسنا وننفذ برامجنا ولا نعود الى اخطائنا في عملنا وتصرفاتنا ومعاملتنا للناس . ان افظع عيوبنا ان نقول لانفسنا ان ما لا يمكننا ان نفعله اليوم يمكن عمله في اليوم التالي ... اننا نخدع انفسنا عندما نقول سيأتي اليوم الذي ننجز فيه ما نتطلع اليه ، ناسين ان الايام تمر وانه بسلوكنا السلبي هذا لن نحقق شيئا . ان صاحب هذا السلوك يضحك على نفسه دواما وينظر الى السنين كأنها لا تنصرم ... وكثيرا ما يفيق لنفسه ويقول : ويحي انني اضيع عمري ، ولكنه سرعان ما يعود الى غفلته ويعيش في المستقبل الجميل وهو لا يعمل شيئا على الاطلاق في حاضره ، والحاضر هو الاساس الذي يبنى عليه المستقبل ، وهو الحلقة الاولى في سلسلة الحياة ، فاذا عاش الواحد منا حاضره في فراغ فان مستقبله لن يكون شيئا غير الضياع .

من الخبل ان نستمرىء خداعنا لانفسنا ، وليس من النضج ان نلوذ بعالم الاحلام والاوهام والمغالطة . يجب ان نخضع اهواءنا للمنطق والتفكير السليم ولسيطرة الارادة ... املك عنان نفسك وابدأ بالخطوة الاولى فانها ضرورية ولا تسمح لاي مبرر ان يستوقفك ، وبغير هذا لن تكون افضل مما انت عليه وتخرج من العالم دون ان تحقق على الاطلاق امرا تتوق ان تحققه . واجه نفسك وواجه الواقع والا فان نصيبك القلق والضياع ... اجعل شعارك منذ اليوم « سأعمل الآن ... وليس بعد ثانية واحدة » ، وقد اعجبني قول « دجلاس ليرثون » في كتابه « انتصر على الحياة » : « صاحب السلوك الايجابي يتجه الى هدفه فيطرق الباب الامامي لمشكلته ، فاذا وجده مغلقا حاول ان يقتحمه ، وان لم يفلح بحث عن منفذ آخر ، وهذا هو الطراز الواثق بنفسه يواجه الصعاب مواجهة حقيقية ثم يحللها ويهجم عليها بغير مواربة » .

تخلص من التسويف .. فبدون التخلص من هذه الآفة المدمرة لن تنجز شيئا ولن تحقق املا ... ان التسويف يعوق نمو الشخصية ويعرقل كل نجاح ... ابدأ اليوم حملتك ضد الضعف والتراخي ، واعمل جادا لتظهر في اجمل صورك ، وليكن شعارك منذ اليوم « سأحقق ذاتي الفضلى ، سأكون الانسان الذي اريده ».

حقا انه هناك احداث تداهمنا دون مقدمات ودون ان يكون لنا يد فيها ، ولكن ٩٩٪ من احداث حياتنا يمكن التنبؤ بها ... انت تعرف العمل الذي تقوم به وتعرف نواحي ضعفك فيه ، وانت رب اسرة وتعرف دخلك ، وانت تدري تماما ما ينقصك في عملك ، وفي اسرتك ، وفي علاقتك بالناس . لن تتغير هذه الامور اذا سلكت نفس المسلك الذي سلكته في العام الماضي ، لن تتغير امورك الى الاحسن ان لم تعمل ـ بعقل وحكمة ومنطق وهدوء ـ على تغييرها وتحسينها .

تريد ان تنجح في عملك . اذن ضع خططا احسن بعد دراسة عوامل النقص والضعف وابذل جهدا اكبر واسع الى اتقان ما تقوم به ، واستفد من خبرات الاعوام السابقة ، لتكون انسانا افضل واجدر بمكانة اعلى .

وشؤون الاسرة ، هل فيها ما ينغصك ؟! حاول ان تهيء ظرفا تكون فيه انت وافراد اسرتك اكثر انسجاما. اجلسوا جميعا لتضعوا برنامجكم في عام ، ادرسوا كل ظروفكم ، ناقشوا اموركم وتعاهدوا على ان تكون حياتكم افضل عن ذي قبل . يجب الا ينفرد واحد منكم بوضع هذا البرنامج ، بل ضعوه بعد نقاش هادىء مقنع حتى يكون للاسرة كلها برنامجها الذي يحترمه كل فرد من افرادها ، ويؤمن بكل خطواته ، ويعمل جاهدا على تنفيذه عن رضا وطيب خاطر وتعاون .. ضعوا في برنامجكم جميع النواحي التي تتكون من خيوطها حياتكم السعيدة، حياتكم المادية والروحية والثقافية ، ضعوا في برنامجكم ما يجب ان تنفقوه وما يجب ان توفروه ، وما يجب ان تتخلصوا منه من كسل واهمال وفوضى وعادات سيئة .

قد يشكو البعض من عدم وجود الانسجام العائلي. ماذا يقف في سبيل هذا الانسجام ؟ انه تصرفاتك ، حاول ان تغيرها ، تنازل عن اتباع وسائلك القديمة ، وضع خطة جديدة تجنبك المنغصات التي نغصتك في العام الماضي ، وليكن طابعك التسامح والحكمة والتفاهم التام ...

وليضع جميعكم جدولا يبين كيف يجب ان ينفق كل منكم رصيده الزمني ، كيف يمضي ساعاته الاربع والعشرين حتى لا يهدر وقته وحتى يملأ ساعاته ودقائقه بكل ما يبني صحته وعقله وروحه ومستقبله .

اتريد صداقات اخلص ؟ ادرس احتكاكك بالناس ولا تطلب منهم ان يكونوا ملائكة ثم ادرس عيوب نفسك . هل انت اناني تطلب كل شيء لنفسك ولا تعطي شيئا ؟! اذا كنت هذا الصنف من الناس فمن يطيق عشرتك ؟! تفهم النفس البشرية على حقيقتها ولا تنتظر الكمال من احد ، وهل توافر الكمال في نفسك حتى تطلبه في غيرك ؟! لا تنتظر من الناس اكثر مما ينتظره الناس منك. ولا تنس ان الصديق هو من يحمل نصف هموم صديقه عندما تغرب الشمس . لا تطلب هذا لنفسك فقط بل عامل الناس بما تحب ان يعاملوك به .

ضروري وجميل ان يعرف الانسان كيف يعامل الناس ... فان كثيرا من المنغصات التي اصابتنا في ايامنا السابقة والاكثر من المشاكل سببها اننا لم نضع انفسنا موضع الذين نتعامل معهم . او اننا انطوينا على انفسنا وعشنا في عزلة اشبه بخلية مريضة لا تؤدي وظيفتها . ومعاملة الناس فن يجنبنا عداواتهم ويكسبنا مودتهم ولا ينفرهم من التعاون معنا . جميل ان يعيش الانسان في وئام وتفاهم مع الناس وهذا من اهم العوامل التي تسعدنا وتجعلنا نقبل على عملنا وكل حياتنا ، بمتعة وسرور ، لا حقد يملأ صدورنا ويدمر اعصابنا ، ولا مآزق نسهر الليالي نفكر كيف نخرج منها . نحن ان كسبنا مودة الناس نجعلهم يحبوننا فيسهل علينا بعدئذ اقناعهم بما نريد ... واقرب طريق لكسب مودة الناس هو ان نضعهم في موضع يرضيهم عن انفسهم ... فان اهم شيء عند اي انسان هو نفسه ... ادرس الشخص واعرف الطرق التي تؤدي الى قلبه واشعره ان له اهمية خاصة عندك وكن في كل هذا مخلصا غير منافق وليس من العسير ان نجد فيمن نعاشرهم ميزة نمتدحها فيهم .. حاول ان تقوي ثقة الناس بانفسهم وان تجعلهم يشعرون بالسعادة كلما التقوا بك ، حدثهم عن فضائلهم ومواهبهم فان هذا يقربهم جدا اليك . ابتعد عن التعصب والاستعلاء ، وكن لطيفا ولبقا فيما تريد ان تصارحهم به دون ان تجرح شعورهم ، ولا تبخل عليهم بمعاونتك لهم في حل مشاكلهم وتقديم الخدمات التي لا تتعارض مع الصالح العام . ولا تنس انه ما استحق ان يولد من عاش لنفسه فقط ، وان سيد القوم خادمهم .

يجب ان نتعاون حتى نجعل دنيانا مكانا جميلا ... الحياة ثقيلة باعبائها ، وفيها من المنغصات ما هو خارج عن ارادتنا وما لا يد لنا في جلبه . الا يكفي هذا القدر على الناس ؟ اليس من الواجب ان اسعى الى اخي الانسان اخفف عنه بكل ما في وسعي ، فأشعر بالسعادة والراحة النفسية وانا اخفف عن انسان يتألم ويشقى ؟! ولكن لن نصل الى هذا الصفاء النفسي الا اذا كان لنا الجمال الداخلي الذي يشع من قلب محب رحيم نقي ... عجيب اننا لا نطيق ان تكون اجسادنا غير نظيفة ونرضى ان تكون ذواتنا من الداخل قبورا نتنة يرعى فيها دود الانانية والحقد والكراهية واللؤم والحسد .. !!اليكن كل منا في مجتمعه وترا سليما حساسا يصدر لحنا جميلا يطرب ويسعد .

كن انسانا تسعد وتسعد غيرك ... احبب الخير والعدل والجمال والسلام . وليكن هذا اول ركن في التخطيط الذي تضعه لحياتك الجديدة خلال العام الجديد ليكون جوهر حياتك خلال مرحلة العمر كلها ... لا تنتظر ان ينتج لك الشر خيرا ... كن انسانا وابدأ بنفسك ولا تقل كيف اكون انسانا وانا اعيش وسط ذئاب خاطفة ... انه لا يمكنك ان تغير ما لا يعجبك في الناس الا اذا غير كل واحد منا ما بنفسه اولا .. اسع دائما الى الخير .

انت تريد ان تكون سعيدا ، حاول ان تكون لك النفس الجميلة التي تسعى الى تجميل كل ما حولها ، والتي ترى انها ما جاءت الى هذا الوجود الا لتجعله جميلا .. انها جاءت لتؤدي دورها الجميل فيه ... ولهذا جاءت كل الاديان لتنظيم العلاقات بين الانسان واخيه الانسان . لتجعل هذا الكوكب جميلا .

والآن ، تناولوا ايها الاعزاء اقلامكم وليكتب كل منكم في دفتر مذكراته « حياتي في عام ١٩٧٤ » . ابدأ بهذه العبارة : « ساعمل جاهدا وبعزيمة صلبة على ان

عرس الشهداء

سليم الزركلي

القيت في مهرجان الشهداء في مدرج الجامعة السورية بدمشق

* * *

مهرجان الفيحاء للشهداء   فاصدحي يا حناجر الشعراء
هدهدي الشعر ينطلق في ضمير الـ   كون بين البطحاء والجوزاء
ويهز المشاعر الغر ، فالاحـ   زان آضت عناصرا للفناء
واطرحي اللغو ، والحياة صيال   فلقد جد منطق الخطباء
خطباء الجولان فوق قلاع الـ   نصر بين العزائم القعساء
واستفاق الكماة من غمرة اليأ   س ، فهبوا في غضبة الكبرياء
وتنادوا للتضحيات نشاوى   في مجالات وحدة في الدماء
غردي للاباة ، اشبال عدنا   ن ، شباب العروبة العرباء
نفروا للجهاد في نصرة الحـ   ق ، شدادا على متون الاباء
يتبارون في اصطفاء المنايا   لينيروا طرائق الاحياء
نذروا الانفس الكريمة البذ   ل ، فوفوا على السفوح الوضاء
السفوح المضرجات الثكالى   أرهقتها فظائع الدخلاء
فعدوا كالصواعق الحمر تنقض   ـ ، فتهوي معاقل الجبناء
في صراع على البقاء ، ويا هو   ل صراع على طريق البقاء

مهرجان الفدى ، فيا نفس طيبي   واهزجي للملاحم الغبراء
نسي الهول ، أنه الهول فيها   فاكتوى في ضراوة الهيجاء

اكون انسانا ، متعاونا ، نقي السريرة ، محبا للخير والسلام ، وسأنفذ كل خطواتي التالية بخصوص عملي واسرتي ومعاملتي للناس » ..

وقبل ان اتركك لتضع برنامجك المفصل ، اهمس في اذنك همسة ارجو ان ترددها بقوة واصرار كلما احسست ان هناك ضعفا او شبه ضعف يوشك ان يداهمك : « ليبق تحمسك لبرنامجك الجديد ملتهبا دواما كما تشعر به الآن وانت في مطلع العام الجديد ، ولا تدعه ـ في اية لحظة ـ يهدأ ويفتر مهما تواجه من معوقات بل تقيد بتنفيذ ما رأيت ان فيه تحقيقا لذاتك الفضلى ، ولا تتخل عن نقطة فيه الا اذا كان تعديلها لما هو افضل » . فأنت ان فعلت هذا وجدت ان معظم النتائج ستكون ثمرة تدبيرك وتخطيطك ... ان حياتنا في حاجة الى دراسة وتخطيط كأي مشروع حيوي ، وهل هناك مشروع في الدنيا كلها أهم من حياتك ؟ فكيف تتركها دون تخطيط يسعدك ويسعد كل من حولك ؟! ... ابدأ برنامجك اليوم .

اختر لنفسك العمق الذي تريده وسر بسفينتك واحذر المياه الراكدة الضحلة ، فانها لا توصلك الى شاطىء الراحة والسلام والنضج . ابدأ منذ اليوم رحلتك الهادفة وارجو لك التوفيق .

وكل عام وانتم بخير

القاهرة   **ايليا حليم حنا**

وتلاقت على الصدام حقود   ارثتها فواجع الادنياء
طالما أجت الصدور ، فماجت   في تهاويل نكبة نكباء
فاشتفت من عداتها ، وأطاحت   بالعوادي كتائب الخفراء
يا بروحي الدروع تصمي دروعا   هم بالهلك جندها والبلاء
فتذيب الحديد ، بالنفس اللا   هب ، والحزم في أقتلاع الوباء
فامحت في التلال سود حصون   درعت بالمكايد الشوهاء

لست في ماتم فارسل حزني   يتلظى على نشيج بكائي
نحن في محفل الشهادة عرس   فيه تجلى عرائس الشهداء
لا أسيغ الدموع تنثر في البا   ساء ، فالدمع حيلة الضعفاء
طربيني ، فقد سئمت نواحا   وانتحابا ، على الضنى والعناء
فلكم أرق الهوان همومي   ولكم خدد الخدود ندائي
نهدت يقظة الضمائر تجتا   ح وكور الاعنات والايذاء
فتهاوت ، وللمروءة غضبى   وثبات العواصف الهوجاء
تقذف الرعب والمهالك ، فالاعـ   ـداء صرعى مشاهد ومرائي
فكان البزاة داهمها الصقـ   ـر ، فراحت في قرة البرداء
والرعاديد في قعور الاخاديـ   ـد حيارى تنوء بالاسواء
والبغاة المخنثون يلوبو   ن سكارى كالحية الرقطاء
يتوارون في الجحور صلالا   أو يخرون في عويل النساء
والصقور المحومات تحيل الـ   باصقات الردى الى أشلاء
صرخات الابطال مثل هزيم الـ   رعد ، تختال في بطون الجواء
فتزف الشفاء للانفس الولـ   هى ، وتوهي معاقل الاعداء

شهداء العروبة الصيد فزتم   بجنان الرضوان وفد فداء
أنتم الاكرمون في السبق للبذ   ل ، ومنكم طبائع الكرماء
قد سلكتم مسالك الاتقياء   فنزلتم منازل الاتقياء
منحتكم دنيا الشهادة تيجا   ن خلود ترصعت بالضياء
أيها الراقدون في المهج الحـ   رى ، نعيما ، وفي عيون الرجاء
أيها السابحون في فلك المجـ   ـد ، طيوفا تفيض بالانداء
أيها الواهبون أنفس ما في الـ   ناس من قنية لخير عطاء
طبتم خالدين في مقل الفجـ   ـر ، شعاعا . وفي جفون المساء
في ضفاف اليرموك ريح خزامى   في حنايا الجولان في سيناء
في الحقول الرضية المعطاء   في الرياض الانيقة الفناء
في الهضاب المطرزات ربيعا   في محاني الاردن والبلقاء

فـي النسيم العليل ، في أنجم الزهـ   ـر ، وفـي خفقـة السنا والسناء
طبتم ، خالدين فـي حـرم الدهـ   ـر ، منـارات عـزة وعـلاء
فـي صدور الاجيال سفـر جهـاد   فـي شعـاب الوديـان والصحـراء
حضنتكم ((دنيا على الشام))، جذلى   فـي قلـوب جلـت عـن استخذاء
وربـى مضهـا الحنين الـى الثأ   ر ، فعزت بخـيرة الاوفيـاء

مهرجـان الفيحـاء للشهـداء   فامـرحـي يـا منابـر الفيحـاء
جلجلت صيحـة الشآم ، فدنيـا   يعـرب، كلهـا مـع الاصـداء
يا لعينيك يا ((دمشق)) فـداك الـ   أهـل والصحب بعـد طول تنائي
لا ودنيـاك ، لست وحدك ، فالاقـ   يـال درء لـدهـرك الوضـاء
قصف الغادرون فيـك شموخـا   فهـووا فـي مهـانـة وازدراء
رصـد سقتـه ، فكـان سهامـا   فـي صميـم الرواعـد الرعناء
وعيون الصقور ترصد فـي الجو   فتنهـار صولـة الاقويـاء !!
يـا فخاري ، وقـد تناصر قومي   في الملمـات ، وانتخـى نصرائـي
يصرعون ((الجبار))في ((حصنه الابـ   ـلق)) ، والغـر ممعـن فـي الغباء
جندتـه للفتـك ((اسرال)) فانسا   ق يفـذي طغيانهـا بسخـاء
جانب العقـل ، واستمات لـيرضي   ((ربة الصون)) عنـد كـل لقـاء
ولكـم مـرغ العزيـز فتـون   فـي كريـه الاوحـال والارزاء
يـا لخـزي الـرؤوس تخنعُ للبا   طـل ، والحق فـي أسىء وشقـاء

يـا لعينك يا ((دمشق)) حشود الـ   عـرب هبـت لنصـرة وافتـداء
كنت قطب الرحى ، فـدال زمـان   كنت فيـه حبيسـة الانـزواء
فاشرأبـت مـن المحافـل أعنـا   ق ، وكانـت مطيـة الادعيـاء
هالهم منـك أن تـدف جيوش الـ   عـرب فـي وثبـة علـى الاقـذاء
ذاك صوت مـن ((العنايـة)) دوى   فـي قلـوب الملـوك والـرؤساء
واندفـاع الشعـوب للنهضـة الكبـ   ـرى ، بنصـر مـؤزر واعتـلاء
كـان في الغيب غير مـا تبصر العيـ   ـن ، فشدي ، أواصـر الاقربـاء
وخذي حذرك الدؤوب ، فـان الـ   ـغـدر حـرب علـى الونـى والونـاء
انمـا تنضر الضمـائر بالايـ   ـمـان والنبـل والوفـاء والاخـاء

يـا لعينيك يـا ((دمشق)) وفائي   وائتـلاق النـدى علـى أفيائـي
واعتزازي بمـا تجـد المـواضي   فـي مغانيـك مـن جديـد بنـاء
لا وحبيك ، والـدماء نـذور   فـي عروقي ، فـي اليسر والضراء
لا وحبيك ، مـا خفـرت ذمامـي   أو تخليـت عـن عظيـم ولائـي
انـا مـا عشت ، كـل همك همـي   ومـآسيـك فـي الكـوارث دائـي
قـد يضم العتـاب بعض قصيدي   ويلـف الضبـاب حلـو ثنائـي
غـير أنـي أظـل فيـك شهابـا   كلمـا داعـب الزمـان مضائـي
ابـدا تبـرز الاصالة فـي الشعـ   ـر ، وفيهـا بقيـة مـن ذمـاء

دمشق
سليم الزركلي


نقولا يوسف

الشاعر عزيز اباظة ومسرحياته

١٨٩٩ – ١٩٧٣

بقلم نقولا يوسف

* * *

فقد الادب العربي يوم ١١ من يوليه (تموز) ١٩٧٣ علما من اعلام البيان ، وشاعرا مجيدا من خلفاء البارودي وشوقي وحافظ ومطران.. ومؤلفا للمسرحيات الشعرية المستلهمة من احداث التاريخ العربي وامجاده مخلفا تراثا قيما يجتمع في ديوانين من الشعر ، ظهر الاول : « انات حائرة » عام ١٩٤٣ حافلا بالشعر الوجداني والغنائي والصوفي .. ولم تجمع بعد قصائد الثاني وملاحمه ، المنشور منها والمخطوط ، وبينها مطولاته التي القاها في مهرجانات الشعر بشتى الاقطار العربية، غير عشر مسرحيات شعرية ظهرت تباعا خلال الاعوام الثلاثين الاخيرة من حياته ، ومثل بعضها على المسرح في اخراج رائع ، وعدت مع مسرحيات شوقي من مفاخر المسرح الشعري العربي الحديث .. هذا الى جانب اسهامه في خدمة اللغة والشعر والشعراء طوال عضويته بمجمع اللغة، وفي لجنة الشعر بالمجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب ، وقد رأسها عدة سنوات ...

لحق شاعرنا بالقافلة الراحلة الى سماء الخلود في اثر سابقيه هذا العام من زملائه الشعراء : عبد الرحمن صدقي ، ومحمود غنيم ، وعلي الجندي .. ومن تقدمهم في العام الماضي : عبد اللطيف النشار، وزكي المحاسني ، وعادل الغضبان ... ومن مضى في الستينيات والخمسينيات .. وما قبل ومعهم جموع الكتاب والنقاد .. ذلك الموكب الحافل من ادباء العربية ، وقد امسوا في ذمة التاريخ ، وسجلات الناقدين تتناول اعمالهم اقلام الكتاب الاوفياء وغيرهم من الباحثين ..

التقيت بعزيز اباظة آخر مرة ذات مساء منذ حوالي عامين في احد « صالونات » الادب بالاسكندرية وكان ينزل بهذا الثغر احيانا في ذهابه او ايابه من رحلاته ببلاد الشرق والغرب ، رأيته كما عهدناه يتنقل بين المدعوين والمدعوات ، شابا نشيطا في نحو السبعين ، فارعا مهندما مشرق الوجه ، يقبل على من يبادله الحديث في مودة واهتمام وبديهة حاضرة .. وكان البعض لم يزل يجامله بلقب « الباشا » الذي منحه في الاربعينيات وظل يحمله حتى الغيت الالقاب والرتب ، واعيض عنه عام ١٩٦٥ بجائزة الدولة التقديرية في الادب فكانت في رايه تشريفا اجل واعظم ..

وكان من السهل على من يحادثه بعض الوقت ان يستشف ما وراء ذلك المظهر « الارستقراطي » لهذا الفلاح « الشرقاوي » ابن القرية وربيب الريف ، وسليل الباشوات ، وصاحب المناصب .. فيرى ان شغل افكاره واهتماماته ، واحلامه وتطلعاته ، تدور جميعا حول الشعر والمسرح ، وان لقب « الشاعر » اثير لديه دون سائر الالقاب .. كان صورة للاديب الفنان الذي كرس حياته للادب وحده ، واستنزف ايامه في مزاولة صناعة الشعر ، وفي مصاحبة امراء البيان .. وما كان بريق الجاه والمناصب ليخلب بصره قدر ما يفعل رنين اللفظ وموسيقى النظم ، وهكذا كنا نراه منذ زمن بعيد في اجتماعات الادباء بالقاهرة مخالطا شيوخهم وشبابهم ، متقربا من كل مبرز في الآداب والفنون ...

ويذكرنا عزيز اباظة الاديب الفنان ، بثلاثة من انداده ابناء الاعيان : محمود تيمور شيخ القصة الحديثة ، ومحمود سعيد نابغة الفن التشكيلي ، واحمد راسم الشاعر المحلق ، وهناك غيرهم كانوا جميعا من اسر « الباشوات » الاثرياء ، ولكنهم لم يركنوا الى الراحة والنعيم ، وآثروا الطريق الصعب ، واشتغلوا بالفنون والآداب ، ونزلوا الى مجتمع الفقير ، وخالطوا طبقات الشعب ، وصوروا آماله وآلامه ، ومجدوا الحق والانصاف ، فبادلهم الشعب الحب والتقدير ، وحازوا اطيب الذكر ...

ولم ينشر الشاعر عزيز اباظة – فيما نعلم – سيرته الذاتية او ذكرياته الشخصية ، في كتاب مستقل او في فصول ، كما فعل الكثيرون من الادباء والفنانين ، ومن المشاهير والمغمورين ، في الشرق والغرب ، فوفروا على النقاد والمؤرخين بعض الجهد في تلمس الاخبار .. فما لا شك فيه ان انتاج الاديب وثيق الصلة بمجرى حياته ، وما يحمل من احداث ومؤثرات في طياته .. وبما توارثه عن آله واسرته وبيئته.. وكذلك لم يؤرخ احد لهذه الاسرة « الاباظية » ولاعلامها وآثارها وهي العشيرة التي جاء منها شاعرنا ونشا وتأثر (كما فعل مثلا بعض ادباء الاسر المتفرعة : « سيرة بني المعلوف » لعيسى اسكندر المعلوف .. و « بنو خفاجه » لمحمد عبد المنعم خفاجي ...) .

ومع ذلك فاننا نعثر على شذرات من سيرة عزيز اباظة ، وعلى موجزات من آرائه ومذاهبه في بعض القضايا الادبية والمسائل العامة

١ – انظر حديث عزيز اباظة في « عشرة أدباء يتحدثون » – فؤاد دوارة – كتاب الهلال – يوليه ١٩٦٥ ص ١٤٣ – ١٦٨ .

٢ – منها مقالة لعزيز اباظة عن « مسرح الشعر » مجلة « قافلة الزيت » اغسطس ١٩٧٣ – وتقديمه ديوان محمد مصطفى الماحي طبعة ١٩٥٧ – وآراؤه في شوقي ومسرحياته ، وفي المسرح الشعري ردا على راي طه حسين ...

٣ – منها مقدمة طه حسين لمسرحية « غروب الاندلس » ١٩٥٢ – ومقدمة عباس العقاد في « قيس ولبنى » ١٩٤٤ – ومهدي علام : « المجمعيون » – ومحمد مندور : « الشعر العربي بعد شوقي » – وطاهر الطناحي : « حديقة الادباء » ص ٨٥ – ٩٠ – وانور الجندي : مقالة في الهلال ١٩٧٣/٨ – والعوضي الوكيل : مجلة الرسالة ١٩٦٤/١/٢ « شوامخ مهرجان الشعر الخامس » – وصالح جودت – الهلال ١٩٧٣/٩ ص ١٣٢ .

خلال احاديثه مع الكتاب والصحفيين والاذاعيين (١) وفي مقالاته المنشورة في المجلات ، ومحاضراته في الاندية وخطبه في المحافل ، او في تقديمه لديوان شاعر (٢) .. ثم فيما تناثر في ثنايا قصائده الوجدانية والقومية ، وفي ابيات مسرحياته الشعرية من آراء وعقائد وصور تكشف عن دخائل قلبه وسماته النفسية والفكرية . ويقف ديوانه : « اناث حائرة » على قمة هذه المصادر ..

واخيرا يجد الناقد كثيرا من وجهات النظر في شعر عزيز اباظة ومسرحياته ، فيما كتبه عنه كبار النقاد في فصول ومقالات (٣) .

ولما كان شاعرنا كسائر الادباء صنيعة الموهبة والوراثة والبيئة ، كان على ناقده او المترجم له ان يقف بنا قليلا ليحدثنا عن الاسرة « الاباظية » التي ينتمي اليها وكان لها كبير الاثر في نشأته الادبية كما كان لها ايضا طابعها المادي والمعنوي على افرادها ، وهي الاسرة الكبيرة العريقة ، السرية ، المحافظة ، مالكة الحقول وساكنة الريف ، والمهتمة بتثقيف ابنائها ، فكان منهم الوزراء ، والنواب ، والمديرون ، والادباء واصحاب المهن العالية ممن ادوا الكثير من الخدمات لبلادهم واسهموا في حركتها الثقافية والسياسية .

وقد جاء عن اصل هذه الاسرة في حاشية ديوان حافظ ابراهيم ـ (جـ ٢ ص ١٣٢) ـ قول الشارح :

« بنو اباظة أسرة معروفة ينتهي نسبها الى بني العائذ ـ بطن من طي ـ (وكفر العائذ ـ او العايد ـ باقليم الشرقية معروف) ـ وقد حضرت هذه الاسرة من العراق الى مصر مع الشيخ محمد ابي مسلم ، وذلك بعد سقوط بغداد في يد هولاكو ملك التتار ايام الخليفة المستعصم (١٢٥٨ م) ولقبت هذه الاسرة « بأباظة » لان امهم كانت من قبيلة جركسية يقال لها (اباظة) فنسبوا اليها » .

ونزلت هذه الاسرة باقليم « الشرقية » (محافظة الشرقية اليوم ومركزها الزقازيق) الممتد جنوبي بحيرة المنزلة بين قناة السويس الحالية وفرع النيل الشرقي ويرويه عدد من الترع منها « بحر مويس » ، وهناك تتناثر المدن والقرى وسط المزارع الشاسعة .. وامتلكت الاسرة الارض وزرعتها ، وعاشت في القرى والكفور ، وارسلت ابناءها الى القاهرة للتعلم والعمل فاقام بها الكثيرون ، ولكنهم لم ينسوا قراهم ومقر آبائهم ..

وكان من مشاهير هذه الاسرة : سليمان اباظة باشا بن حسن اباظة (١٨٣٤ ـ ١٨٩٧) ـ من بلدة « الطهراء » بالشرقية وتولى عدة مناصب حكومية منها نظارة المعارف (وزير التعليم) عقب الثورة العرابية .. ورثاه عند موته صديقاه الشاعران احمد شوقي (الشوقيات جـ ٣ ص ١) وحافظ ابراهيم (ديوان حافظ جـ ١ ص١٣٥ و ١٣٦) معددين مناقبه ...

وعثمان السيد اباظة (١٨٤٨ ـ ١٨٩٦) ـ بن السيد اباظة باشا وكان من قرية « الربعماية » بالشرقية (منشأ شاعرنا عزيز اباظة) وكان ناظر قضايا بمديرية الشرقية ومفتشا لبعض الجهات ، ثم اعتزل الوظائف واقام في قريته ، واقبل على الادب وجعل بيته منتدى للادباء والشعراء وفي مقدمتهم حافظ ابراهيم الذي خلد ذكره بمرثيته (ديوان حافظ جـ٢ ص ١٣١) .

ومنهم محمد سليمان اباظة بن سليمان اباظة باشا (١٨٧٢ ـ ١٩٢٣) وكان من ضباط البوليس ووكيلا لمصلحة الاملاك واديبا رثاه ايضا حافظ ابراهيم (جـ٢ ص ٢١٦) ..

وكان اسماعيل اباظة باشا المتوفي عام ١٩٢٧ ومن قرية « بردين» بالشرقية من اقطاب السياسة وزميلا للزعيم سعد زغلول ، وعضوا بارزا في « الجمعية التشريعية » وله مقالات سياسية رنانة في الصحف بعضها بعنوان « بيان لا بد منه » (ورثاه احمد شوقي ـ الشوقيات جـ٣ ص ١٩٣) .

كما كان عبدالله اباظة بن السيد اباظة باشا عضوا في « الجمعية التشريعية » وتقلد عدة مناصب وتوفي عام ١٩١٩ وقد اطنب حافظ ابراهيم في مدحه بقصيدة نظمها حين شب حريق بمنزله (جـ٢ ص١٢٣).

اما المرحوم ابراهيم دسوقي اباظة وزير الاوقاف عام ١٩٤٦ والمتوفي في يناير ١٩٥٣ فكان اديبا محبا للادب والادباء ، وتجلى حبه للادب وحفاوته بالشعر والشعراء عندما اختاره الادباء عام ١٩٤٦ رئيسا لجماعتهم المسماة « جامعة ادباء العروبة » فكان يرعى اعضاءها ويشاركهم مهرجاناتهم القومية والادبية التي اقاموها بالقاهرة والفيوم والزقازيق والمنصورة في اعياد الربيع والهجرة والقمر ونحوها .. (٤) ـ فلما تسلم وزارة الاوقاف ، كما يقول الشاعر محمد مصطفى الماحي وكان يعمل معه بهذه الوزارة ، « جمع حوله طائفة من أكابرهم واعاد فيها دولة للادب تذكر بما كان لها في عهد الكاتب الكبير محمد المويلحي سنة ١٩١١ .. وبعد تركه الوزارة ظلت داره بالعباسية كعبة يحج اليها كل مشتغل بالادب والشعر ولو كان ذا متربة » . فهو نصير المحتاج وبخاصة اذا كان له ضلع في الادب حتى لقب « ابا الشعراء » ـ (٥) ولما توفي (١٩٥٣) اقام له اصدقاؤه الادباء حفلات التابين ، والقوا بها الخطب والقصائد المعبرة عن حبهم ووفائهم وذكرياتهم (٦) كما مدحوه حيا .

ثم الكاتب الاجتماعي والسياسي محمد فكري اباظة بن حسين السيد اباظة والمولود في « كفر ابو شحاتة » بالشرقية عام ١٨٩٧ وقد اشتغل بالمحاماة في الزقازيق فترة ، كما اشتغل بالسياسة وشارك في الحركة الوطنية ، وكان عضوا بمجلس النواب وبدأ ينشر مقالاته ونقداته الاجتماعية والسياسية بجريدة الاهرام منذ ١٩١٩ واستقر محررا بدار الهلال في القاهرة منذ ١٩٢٦ ورأس تحرير مجلة «المصور»، واختير اليوم رئيسا لمجلس ادارة دار الهلال .. واشتهر بأسلوبه الفكه اللاذع .. وقد جمع عدد من مقالاته في جزئين عامي ١٩٢٢ و١٩٢٣ كما ظهر له عدد من المؤلفات النقدية والقصصية منها : « الضاحك الباكي » ١٩٣٣ ـ واحاديث في الاذاعة ١٩٥١ ـ و « الحب ابو العجائب » ١٩٦٠ و « حواديت » ١٩٦٩ .. وكتب عن حياته وقلمه الكثير من الكتاب (٧) .

واشتهر اليوم من كتاب القصة الطويلة والقصيرة ثروت اباظة بالقاهرة ونشر عددا من المؤلفات القصصية ، واخرج بعضها في السينما والتلفزيون ..

وكان شاعرنا عزيز اباظة ابن هذه الاسرة يعزو تعلقه بالشعر الى احتفال رجالها بالادب ..

وولد عزيز اباظة في ٣ من اغسطس (آب) عام ١٨٩٩ بالزقازيق، ونشأ في « الربعماية » من قرى اقليم « الشرقية » بين المزارع والبساتين التي ترويها الترعة المعروفة ببحر مويس .. وكان والده محمد عثمان اباظة باشا عمدة قريته ثم اصبح عضوا في « مجلس شورى القوانين» و « الجمعية التشريعية» وفي مجلس النواب ١٩٢٥ .

ويقول عزيز اباظة عن المؤثر الاول في نشأته الادبية ، واتجاهه نحو الشعر منذ صباه : (٨) ان عينيه تفتحتا على بيئة ادبية ، وان اعمامه وابناء عمومتهم وكانوا يسكنون القرى المجاورة لقريته كانوا يعنون عناية بالغة بالادب والشعر بصفة خاصة .. ومنهم عمان من كبار الموظفين ومن كبار حفظة الشعر .. وكانت مجالسهم تحفل

---

(٤) مجموعة ادب العروبة ـ القاهرة ١٩٤٧ ـ (٥) ديوان الماحي ـ ط ١٩٦٨ ـ كلمة ص ٧٢٤ ـ (٦) ديوان الماحي ص ٢١٥ مرثية ـ وديوان ابراهيم ناجي (١٩٦١) ـ (وكانت وفاة ناجي بعد الدسوقي اباظة بشهرين) : ـ ص ٣٠٣ تحية ناجي في حفلة تكريم الدسوقي بدار الاوبرا ـ وص ١٧٠ (وقد زار ناجي في بيته) ـ وص ١٩٣ و٢٣٩ و٣٢٥ وبها تحيات وشكر .

(٧) منهم عباس خضر : « صحفيون معاصرون » ـ وحافظ محمود (الهلال ١٩٧٣/٩) ص ١١٣ وطاهر الطناحي : « حديقة الادباء » وآخرون ..

بمدارسات الادب ومطارحات الشعر .. ولما انتقل الصبي ليتعلم بمدارس القاهرة الابتدائية ، واقام بها مع احد اعمامه في منزله بحي الناصرية ، كان يلتقي بعدد من اعلام الادب يجتمعون في بيت العم ، ويستمع الى ما يدور في مجالسهم من مناقشات ادبية ومطارحات شعرية ويذكر منهم الشاعر حافظ ابراهيم ، وعبد العزيز البشري ، ومحمد السباعي ، وامام العبد ، وصادق عنبر وغيرهم .. ثم ان بعض اصدقاء الاسرة من هؤلاء الادباء وغيرهم ، كانوا يحضرون ليمضوا اياما من الصيف في قرية « الربعماية » .. وفي بعض الاجازات قرأ مع الشيخ عبد العزيز البشري معظم كتب الجاحظ ، وكثيرا من اجزاء « الاغاني » وقرأ مع حافظ ابراهيم ديوان الحماسة لابي تمام ، وديوان البحتري وقد تأثر طويلا بالبحتري وكان شاعره المفضل .. ثم يقول انه جمع من املاء حافظ ابراهيم خلال سنوات متعاقبة عشر كراسات من مختارات الشعر .. وقرأ على الشيخ محمد الخضري عددا من كتب النحو واللغة .. ثم تعرف بالشاعر احمد شوقي وزاره مرارا منذ ان كان طالبا بمدرسة الحقوق وظل معجبا بشعره الى النهاية ، وبالشاعر احمد رامي وكان يعرض عليهما بعض شعره الذي كان ينظمه في مناسبات خاصة ، ومنه ما كان في الغزل او في غيره من محاولات الطالب بالمدارس الثانوية وما بعدها ..

ولحق شاعرنا بمدرسة الحقوق وتخرج فيها عام ١٩٢٣ وتمرس بالمحاماة نحو عامين بمكتب محام كبير .. ثم التحق بخدمة الحكومة ، وتقلد شتى الوظائف الادارية خلال عشرين عاما (فيما بين ١٩٢٥ وعام استقالته ١٩٤٦) متنقلا بين عدد من المدن .. كما كان في بعض السنين عضوا بمجلس النواب .. وهو في تلك الاعوام المشحونة بالعمل والمسؤولية والتنقلات ، يشغل بعض فراغه في نظم القصائد والمسرحيات الشعرية ..

بدأ حياته الوظيفية في خدمة النيابة بطنطا فيما بين ١٩٢٥ – ١٩٢٨ ثم انتقل الى « ميت غمر » وهناك رشح نفسه في انتخابات مجلس النواب لاول مرة ونجح ، وكان واحدا من ممثلي المعارضة ، والمجلس كله من الوفديين . فلما حل المجلس عاد شاعرنا الى الوظيفة الحكومية مفتشا بمصلحة التجارة والصناعة .. وانتخب مرة اخرى في مجلس النواب عام ١٩٣٠ فلما حل عام ١٩٣٤ عين مفتشا بوزارة الداخلية . ثم رقي مديرا لتحقيق الشخصية ، فوكيلا لمديرية البحيرة، ثم وكيلا لمديرية الجيزة ، الى ان انتخب مرة اخرى لمجلس النواب سنة ١٩٣٦ مستقلا عن الاحزاب .. وفي وزارة محمد محمود باشا التي تلت هذا المجلس عين مديرا للقليوبية ، ثم مديرا للفيوم لمدة سنتين ، نقل بعدها مديرا للمنيا سنتين اخريين وفي مدينة المانيا وضع مسرحيته الشعرية « قيس ولبنى » .. ثم نقل محافظا لبورسعيد ، وبعدها مديرا لاسيوط (حيث كتب مسرحيته « العباسة » ثم مسرحية « الناصر ») لكسب العيش ، والى الادب والشعر خاصة كرسالة وغاية ..

وكان قد فقد زوجته الاولى في يونيه ١٩٤٢ وحزن على فقدها حزنا شديدا ، واضرمت هذه الفجيعة شاعريته ، فنظم في فقيدته غرر المراثي ، وتسامى باحزانه الى آفاق الروحانية والتصوف ، وجمع بين ذكرياته الخاصة وبين ذكريات البقاع المقدسة التي لاذ بها ، مما نراه معروضا في ديوانه : « انات حائرة » ..

ثم كان لاسفاره المتعددة الى اقطار الشرق والغرب ، وتنقله بين المدن والقرى المصرية ، ما زوده بمختلف الصور والانطباعات المستوحاة من الآثار والتاريخ والطبيعة وبخاصة ما يطوف بالامجاد العربية واعلام العرب ، وقد زار من البلاد : الحجاز والكويت وسورية ولبنان ، والعراق وتونس .. والاندلس باسبانيا ، وفرنسا وايطاليا وسويسرة..

وغيرها ..

ومع اهتمامه بقضايا بلاده وسائر الاقطار العربية ، التحررية والقومية ، فهو لم ينزل الى معترك الاحزاب السياسية في عهده وظل مستقلا برأيه سواء في اثناء عضويته بمجلس النواب ام وهو خارجه ، في حين كان الكثيرون من افراد أسرته ينتسبون الى مختلف الاحزاب.. ومع ذلك لم يسلم من شظايا الحزبيات ، ومن طريف ما يحكيه انه لما وضع مسرحيته الشعرية « العباسة » ومثلت بالقاهرة وحضرها الملك السابق فاروق ، ظن انها تؤيد حق الملك في التصرف في وزرائه – وكانت فترة اختلف فيها مع وزارة « الوفد » – فبادر الى منح شاعرنا رتبة « الباشوية » .. فلما ان اخرج الشاعر مسرحيته التاريخية : « الناصر » وصور فيها فساد اسرة حاكمة ، ظن فاروق ان بها تعريضا به وبأسرته ، فانقلب عليه وخاصمه !!

ولكن شاعرنا كان يشارك دائما في نشاط الجماعات الادبية واللغوية ، وفي مهرجانات الشعر بمصر وسائر الاقطار العربية فهو عضو عامل في « لجنة الشعر بالمجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب » ثم مقررها منذ وفاة المرحوم عباس العقاد عام ١٩٦٤ وراس لجنة المسرح بالمجلس بضع سنوات – وهو عضو بالمجمع اللغوي بالقاهرة منذ ١٩٥٩ – وهو في مقدمة المتحدثين في مهرجانات الشعر العربي يلقي في « مهرجان الشعر الرابع بالاسكندرية » اكتوبر ١٩٦٢ قصيدته « شوقي ورومة » ، وفي « مهرجان الشعر الخامس بالاسكندرية خريف ١٩٦٤ » « وقفة في قرطبة البيضاء » ، وفي مهرجان تونس مارس ١٩٧٣ « تحية تونس الخضراء » .. وهو قبيل وفاته يدعى الى الكويت لالقاء محاضرات عن الشعر العربي وهو هنا وهناك جم النشاط حتى يومه الاخير ..

ولقد اقتصر تراث عزيز اباظة بعامة على الشعر العربي البليغ العمودي المنظوم في شتى اشكاله .. نظم الشعر العاطفي والغنائي والصوفي (انات حائرة ١٩٤٣) ونظم المطولات والملاحم المستوحاة من التاريخ العربي وحياة اعلامه (المنشورة في الصحف والمجلات ، وما القى منها في المهرجانات الادبية والمحافل) .. ثم مسرحياته العشر وحوارها جميعا من الشعر المنظوم .. ويصف المرحوم طاهر الطناحي الشاعر عزيز اباظة (في كتاب « حديقة الادباء » ص ٨٥ – ٩٠) بهذه العبارة :

« قال الشعر منذ العاشرة من عمره ، ولم يعرف بالنبوغ الا في كهولته . فتبوأ مكانه في الطبقة الاولى من شعراء العربية ، واشتهر بلا جهد في الشهر ولا جهاد . وفرضت قدرته نفسها على تقدير الناس . واذا هو ينهض من فراشه – على حد تعبير الشاعر بيرون – فيرى نفسه ذائع الصيت مشهورا . وكان من قبل منطويا على نفسه ، يقول الشعر ويتغنى به في اوقات فراغه بعيدا عن الانظار وكانما كان يخشى نقد الناقدين ، او يستحي ان يعرف بما لا ينبغي ان يعرف به الشعراء النابغون ، فآثر الانزواء والانطواء زمنا طويلا حتى كانت القارعة بوفاة زوجته الحبيبة الى قلبه وروحه ، فانبعثت ملكته الشاعرة بتلك « الانات الحائرة » فدوت بين القلوب والاسماع ، وعرفت على قلة ما طبع منها في جميع البقاع ... »

ومما قاله شاعرنا في زوجته :

فقدتها خلة للنفس كافية   تكاد تغني غناء الماء والزاد
يا أختذي الرونق الموشى من عمري   وعدل نفسي من الدنيا واولادي
قد ذقت بعدك يتما حز في كبدي   وذاقه في ربيع السن اكبادي

وكان هذا الوفاء لشريكة حياته ، وللراحلين من اصدقائه ومن كبار صانعي التاريخ ما اشاد به دائما مكرموه وراثوه ومن ذلك قول ابراهيم ناجي في حفلة تكريم عزيز اباظة بمنزل ابراهيم دسوقي اباظة :

اقمت من عبقري الشعر برهانا   وقبلها كنت للاخلاق عنوانا
بآيتين : وفاء للتي ذهبت   وانت من حفظ الذكرى ومن صانا

---

(٨) ، (٩) من حديث عزيز اباظة مع فؤاد دوارة : « عشرة ادباء يتحدثون » .

وآية من وفاء للالى سحبت   عليهم حادثات الدهر نسيانا

ثم تتالت بعد ظهور ديوانه : « انات حائرة » – ١٩٤٣ قصائده ومطولاته وملاحمه التي تشيد بالعروبة وامجادها واعلامها ، وتذكر باساليب البيان في العصور الاولى للادب العربي .. وكان يلقي بعضها في المحافل في نبرات واضحة ونص بليغ ، وينشر بعضها الآخر في المجلات .. وظهرت ملحمته : « من اشراقات السيرة الزكية » في ربيع ١٩٧٢ توضح ملامح السيرة النبوية الشريفة ، وما كان للرسالة المحمدية من اثر واشراق وانتشار ..

وهو في قصيدته « شوقي وروما » – (مهرجان الشعر الرابع ١٩٦٢) يحيي مدينة روما التي كرمت الشاعر احمد شوقي واقامت له تمثالا في احدى حدائقها :

ايه روما انصفت صناجة العرب وخرت الانصاف للتكريم
قد سبقت الدنيا اليه وانت الدهر سباقة لكل عظيم
اسلمي واقبلي سلاما من الشرق، وشكر الكريم فضل الكريم
وقديما كان الجميل شعار الشرق الا لمعتد او اثيم

وفي قصيدته : « وقفة في قرطبة البيضاء » (مهرجان الشعر الخامس ١٩٦٣) يصور شاعرنا انطباعاته في رحلته الى بلاد الاندلس، ويشيد بمجدها العربي القديم ، وعصورها الذهبية السالفة .. ويضمن انشودته الى جانب تصوير المواقف والمناظر ، عبارات الحكم والعبر والمواعظ على نسق استاذه احمد شوقي في اندلسياته وان كانت في صور اخرى مباينة وكان هذا المطاف قد اوحى ايضا لشاعرنا بمسرحيتيه الشعريتين : « الناصر » ١٩٤٩ و « غروب الاندلس » ١٩٥٢ .

قالوا بلغتم ، فهذا نور قرطبة   فقلت دل عليها نور سالفها
اجل ، ودلت نفاثات مكتمة   قد غالبتها فضلت في مراشفها
وادمع في مآقيها تدافعها   لولا الحياء همي اسكوب واكفها

الدهر يومان ، والايام حاملة   خط الوجود جنينا في لفائفها
ما دك من عمد الدولات فانصدعت   كالخلق شب لقاه في طوائفها
وقد تصاب فتلقى حتفها امم   لا من مخالفها بل من محالفها

وفي تحليل الشاعر الموصلي الوكيل لهذه القصيدة (في مقالة بمجلة الرسالة ٢ – ١ – ١٩٦٤) يقول :

« .. من حيث الصياغة فانك تلاحظ فيها فحولة عباسية تستطيع ان ترجعها بسهولة الى الاصل الذي ترجع اليه اشعار البحتري والشريف الرضي ومهيار .. والقافية عصية ولكنها خضعت لقدرة الشاعر خضوعا عجيبا .. وعزيز اباظة شاعر صاحب ذوق في انتقاء الفاظه ، ولكنه لا يختار الا وفق ما يتجه الهامه . فتمت مطابقة بين الفاظه ومعانيه فخامة لفظ في مقام فخامة معنى ... وله غرام اي غرام باستقصاء المناظر والمواقف في قصائده ، ويظهر ان ذلك عدوى وصلت الى شعره العادي من شعره المسرحي .. والقصيدة . وقد صاغها الشاعر المبدع على نمط عباسي من الفحولة والجزالة لم تفقد مع ذلك وحدتها وتماسكها ، وترابط ابياتها حتى ابيات الحكمة التي ساقها الشاعر خلال مشاهده ترتبط بمكانها من القصيدة ارتباطا متينا ... »

كذلك جاءت قصيدته الاخيرة « تحية تونس الخضراء » (مهرجان تونس – مارس ١٩٧٣) صورة اخرى تشيد بالعروبة والارض العربية، وما كرمها الله به من كتاب ولغة وفضائل ..

ولا يحجم عزيز اباظة عن اعلان مذهبه في الشعر والشعراء ، وفيما يسمى بالشعر الجديد والشعر القديم ، في احاديثه العامة والخاصة، ولو انه لم يعالج النقد الادبي الا فيما ندر فهو من ناحية الشكل والاسلوب من انصار الشعر العربي العمودي ، المكين البليغ ، بقوافيه واوزانه وبحوره التقليدية ذات الجرس العذب ، والايقاع الموسيقي.. ومن ناحية الجوهر يرى « ان الشعر هو التعبير الصحيح لاكرم عواطف الانسان واحاسيسه » ، وانه كما قال فيه بعض النقاد : كلام من دم ونبض وايمان . فكان الخلاف بينه وبين انصار الجديد يدور غالبا حول الشكل والقوافي والاوزان .. وما يتصل بعلم «العروض» .

وفي احد تلك الاحاديث (٩) يقول : انه ليس ضد اي تجارب او اي تجديد ، ولكن الشعر الخالي من الوزن والنظم لا يمكن ان يعتبر في رأيه شعرا .. يقول : « لقد تساهلنا فيما يتعلق بالقافية ، واصبح من حق الشاعر ان ينتقل من قافية الى اخرى كيفما شاء ، ولكني ارفض ان يكون شعر بلا وزن » . ولما قيل له ان شعر المجددين موزون على اساس التفعيلة قال : « ان التفعيلة لا تحدث موسيقيتها الا بانضمامها الى تفاعيل اخرى يضمها بحر وبحور الشعر لها مجزوءات ومجزوءات المجزوءات . اما ما يقولونه فهو في حقيقته نثر قد يكون نثرا جميلا ولكنه يظل مع ذلك نثرا ، وليس هناك فن بلا قيد . والفن الذي بدون قيد يصبح فوضى ، والمقدرة في الفن كما يقول نيتشه ، ان تستطيع الوثب بين هذه القيود لتصل الى الانطلاق ... »

وهو يحبذ الجمع بين القديم والحديث ، ويعود الى « نظرية تنويع القافية » فيقول – (في تقديمه ديوان محمد مصطفى الماحي – ط ١٩٥٧) :

« ان الشاعر خلق في ديوانه القيم صلة واشجة بين القديم والحديث . فلم يأخذ بنظرية تنويع القافية ، مواكبة منه للاوضاع التي اصطلح عليها العرب في شعرهم . ومما لا جدال فيه ان وحدة القافية فيما مضى ولا تزال الى الآن ضرب من ضروب الجمال في الشعر العربي ، لانها ترمز الى الثروة اللفظية للشاعر ، ولكن تطور الشعر ولا سيما في هذا العصر الذي نعيش فيه كاد يأتي على هذه النظرية بل كاد يقتلع الاسس التي وضع عليها الاقدمون قواعد الشعر ، فقالوا ان الفكرة والصورة هما من اجل سمات الادب المعاصر ، ولذلك تطلبان تنويع القافية تساوقا مع الجو الذي تعيشان فيه ، واننا لا نغض من هذا الترخيص على شريطة الا يكون تغيير القوافي حائلا دون عذوبة الجرس ورقة الايقاع في الشعر ، والا فقد الشعر دعامة اصيلة من دعائم كيانه واشراقه ... »

وقد اعجبه في ديوان الشاعر : « قدرة الذهن على التحليق في اجواء فنية جديدة ما يتيح له ان يواكب المجددين في اوسع آفاقهم وابعد غاياتهم . هذا مع الحفاظ على كيان الشعر العربي ومراعاة الانماط المختلفة من ذلك التراث الكريم .. ولدينا من النماذج الفنية التي ابدعتها قريحته ما يعيننا على تأييد هذا القول ...؟ فهناك تلمح وثبات فنية تتلاقى فيها جزالة القديم وروعة الحديث » .. وفي شعره الغزلي ايضا : « انك لتلتقي في ثنايا غزله روحا شفيفة يزيدها اصالة ان الشاعر مستمسك بالكريم من النهج القديم ... »

ووضع عزيز اباظة فيما بين ١٩٤٣ – ١٩٧٣ اي خلال الاعوام الثلاثين الاخيرة من حياته ، عشر مسرحيات عربية شعرية، يدور الحديث والحوار فيها جميعا في ابيات منظومة موزونة مقفاة ، وفي لغة فصيحة بليغة ، يتناثر فيها الكثير من العبارات والكلمات المعجمية .. وهي في جملتها مستوحاة من احداث التاريخ العربي ومن قصصه واساطيره .. واخرج بعضها ومثل على مسارح القاهرة ..

وقد مثلت اولى مسرحياته « قيس ولبنى » على مسرح « الاوبرا» بالقاهرة يوم ٤ من نوفمبر ١٩٤٣ وطبعت عامذاك مع مقدمة للمرحوم عباس محمود العقاد ، وتتناول قصة الحب التي اشتهرت في العصر الاموي وورد ذكرها في كتاب « الاغاني » وغيره .. ثم نشرت مسرحية « العباسة » عام ١٩٤٧ ومثلت ، وتدور حول قصة العباسة اخت هارون الرشيد مع جعفر البرمكي .. وتلتها « الناصر » ١٩٤٩ عن عبد الرحمن الثالث ثامن الخلفاء الامويين بالاندلس .. ثم « شجرة الدر » ١٩٥١ التي تولت الملك بمصر بعد وفاة الملك الصالح ايوب عام ١٢٤٩ م .. ثم « غروب الاندلس » ١٩٥٢ وكتب مقدمتها دكتور طه

حسين .. و « شهريار » ١٩٥٤ عن قصص الف ليلة وليلة .. و « اوراق الخريف » ١٩٥٧ وهي مسرحية اجتماعية عصرية قدمها المرحوم العقاد ايضا .. ثم « قافلة النور » ١٩٦١ عن انتشار الاسلام في شمال شبه جزيرة العرب والحدود الفارسية .. و « قيصر » ١٩٦٣ من التاريخ المصري الروماني .. واخيرا « زهرة » ١٩٦٩ مثل الاسم « فدرة » وهي احدى مسرحيات يوربيبدس الاغريقي ، وراسين الفرنسي ، وعارضها شاعرنا في سياق آخر ..

ولا يتسع لتلخيص هذه المسرحيات ونقدها ، ومقارنتها بغيرها مما كتب شوقي وغيره ، سوى كتاب نقدي يختص بهذا الشاعر واعماله.. ونكتفي هنا بالاشارة الى المناظرة التي اثارتها المسرحيات الشعرية المنظومة سواء أكانت لعزيز أباظة ام لشوقي ام لغيرهما .. وتتشعب القضية الى ناحيتين : الاولى تقول ان الشعر لم يعد صالحا للمسرح، لان النثر في المسرحية هو لغة الحياة اليومية التي لا تبعد عن فهم الناس .. والثانية تقول بالواقعية اي ان تكون المسرحية صورة صادقة لما يجري في الحياة ، ومرآة يرى فيها الناس حقائق دنياهم بعيدا عن التكلف والتصنع ..

وعندما قدم طه حسين مسرحية عزيز اباظة « غروب الاندلس » ، عالج في هذه المقدمة النقدية قضية الشعر المسرحي ، وانتهى الى النتيجة التي ترى ان الشعر لم يعد يصلح للمسرح ، لان المسرحية التي تنحي النثر جانبا ، لا يمكن ان تعالج موضوعات الحياة اليومية ، وبالتالي تصير بعيدة عن فهم الناس واستيعابهم ، ولا يمكن ان تحدث نفس الاثر الذي يحدثه اي عمل فني كتب بلغة الحياة اليومية .. واضاف طه حسين ان الفن حرية ، وان الشعر باوزانه وقيوده وقوافيه أسر واشد من الاسر . اما بالنسبة للقدامى فانهم لم يصطنعوا الشعر في مسرحياتهم الا لان النثر لم يكن قد بلغ بعد منزلته التي بلغها في العصور الحديثة . اما عن جمهور المسرحية الشعرية فانه اقبل عليها لا لانها مسرحية ولكن لانها شعر ، ثم سرعان ما انفض عنها .. وختم طه حسين مقدمته بقوله : « انني من اجل ذلك لم افتتن بتمثيليات شوقي ولم انشط لتمثيليات خليفته عزيز اباظة » ..

وكان العقاد قد أبدى رأيه في تقديمه لمسرحية عزيز اباظة « قيس ولبنى » بعد ان شهد تمثيلها وقرأها مطبوعة عام ١٩٤٣ ومما قال :

« ان هذه الرواية جلت في الادب العربي الحديث حقيقتين لا تزالان ابدا في حاجة الى جلاء... اولهما ان الفضل يعرف لصاحبه ولو لم يجهد جهده للتنويه به والدعوة اليه ... اما الحقيقة الثانية.. فهي صلاح العربية الفصحى للمسرح الحديث واستطاعة النظارة من جميع الطبقات ان يفقهوا معناها ويشربوا مزاجها ، ويتنقلوا الى جوها ويستجيبوا لعباراتها في مواقف الجد او الدعابة ، وفي معارض اللهو او الاسى ، وعلى سنن الاخلاق والعادات التي باعدت بين عصرنا وعصرها ولا سيما عهد هذه الرواية ... فايما كانت الاسباب التي ينتحلها المتعللون للغة الفصحى على المسرح الحديث فليدعوا اذن سببا واحدا لا شك في بطلانه وهو انقطاع الصلة بينها وبين النظارة من الخاصة المثقفين او عامة المستمعين ... »

كما قال العقاد وهو يقدم للمسرحية العصرية : « اوراق الخريف» لعزيز اباظة : « ان الفن كما عهده الناس في كل الازمنة انما هو تعبير وتصوير ، ولو كان نقلا ومحاكاة لما كانت لنا من حاجة اليه ، لان ابصارنا واسماعنا تغنينا عنه ، وترينا ما يراه الفنان ويسمعه بغير ما حاجة الى تأليف .. »

وعارض عزيز اباظة هذين الرأيين ـ اي ان الشعر لم يعد صالحا للمسرح ، وان تكون المسرحية صورة صادقة للحياة بلا تصنع ـ مستشهدا بآراء بعض ادباء الشرق والغرب (في مقالته التي ظهرت بعده بمجلة « قافلة الزيت » اغسطس ١٩٧٣ بعنوان : « مسرح الشعر ») ـ ومن ذلك قول الشاعر ت. س. اليوت ان الشعر والنثر في المسرحية كلاهما وسيلة لغاية ، وما يزال الشعر اقدر على التعبير عن عواطف الانسان ونزعاته . وان الفرق بين الشعر والنثر في المسرحية ليس ضخما كما يظن بعض الناس ، فان النثر الفني الجزل قد يمكن اعتباره غريبا كالشعر سواء بسواء ، عندما يرتفع الموقف المسرحي الى مشارفه من الناحية الانسانية. فالشعر هو اللغة الوحيدة التي ترقى لهذا المستوى .. ثم ان الانصراف عن الشعر في المسرحية كان على الاغلب لعوامل ذاتية منها العجز ومنها ايثار العامية ..

« واما القول بان تكون المسرحية نسخة من الحياة وصورة صادقة لما يجري فيها فان في ذلك الاتجاه مصادرة قاضية على اشراقات الفن وعلى قيمه الجمالية . ذلك لان القاعدة السليمة ، كما يقول ديدرو هي : « ان الفنان لا يحاكي الطبيعة وانما يجملها » » .

ولم يكن عزيز اباظة ومن قبل احمد شوقي اول من عالج المسرحية الشعرية العربية في عصرنا الحديث ، وان كانا اشهر من كتبها بين ادبائنا في نظم فصيح بليغ مقتفين اثر كبار مؤلفي المسرحيات الشعرية الغربيين امثال شكسبير ، وت. س. اليوت .. وراسين وكورني فقد سبقتهما منذ اواخر القرن التاسع عشر ، ولحقت بهما محاولات مختلفة الاشكال في هذا المجال ..

وكان من عادة رواد المسرح العربي ان يصنفوا التمثيليات في لغة عربية فصحى جامعة بين المنثور والمنظوم . وكان الغرض من النظم في بعض المواقف هو الانشاد والغناء مما يستهوي الجماهير .. وعلى هذا الطراز وضع الشيخ نجيب الحداد عام ١٨٩٣ مسرحية « صلاح الدين الايوبي » وترجم « روميو وجوليت » لشكسبير وغيرهما .. وسليم خليل نقاش تمثيلية « الظلوم » وبشارة كنعان « عظة الملوك » .. ومحمد منجي خير الله مسرحية « مجنون ليلى » ١٩١٦ وترجم فتحي عزمي حوالي ١٩١٠ مسرحية « فتح الاندلس » للشاعر التركي عبد الحق حامد .. الى آخر تلك المسرحيات النثرية الشعرية الكثيرة التي اخرج بعضها على المسرح ..

اما محمد عثمان جلال فقد ترجم الى الشعر العربي العامي المقفى مسرحية موليير « طرطوف » وسماها : « الشيخ متلوف » ووضع لشخصياتها اسماء عربية ، ومثلتها « فرقة عكاشة » مرات عديدة في نجاح ، وطبعت حوالي عام ١٩١٠ .

وفي العشرينات من هذا القرن وضع بعض ادبائنا مسرحيات شعرية لتلحن منظوماتها وتغنى على نسق « الاوبرا » ومن ذلك : « تسبا » لاسكندر شلفون (١٩٢١) و « احناتون » ١٩٢٧ لاحمد زكي ابو شادي ، واوبراته المنظومة الاخرى : احسان ، واردشير ، والآلهة ، والزباء .. ثم روايته الشعرية « مها » ١٩٢٦ .

ثم وضع الشاعر محمود غنيم مسرحيتين شعريتين في نظم فصيح مقفى ـ وهما : « غرام يزيد » و « النصر لمصر ».. كذلك نشر الشاعر محمد رجب البيومي عام ١٩٥٨ مسرحية شعرية تاريخية : « ملك غسان » في نظم سلس بديع ..

وكان الشاعر علي احمد باكثير قد بدأ اعماله المسرحية نظما بما سماه « الشعر المرسل المنطلق » اي مرسل من القافية وفي ابيات مجزأة ـ على طريقة شكسبير ـ وترجم عام ١٩٣٧ تمثيلية « روميو وجوليت » لشكسبير ، ثم وضع مسرحية « اخناتون ونفرتيتي » ١٩٤٠ في شعر موزون مرسل ، وقدمها ابراهيم المازني ومما قال : « وجدت في شعر الصديق ابي كثير تحدرا وسلاسة وسهولة لا تدع للنثر مزية . والنظم قيد ولكن ابا كثير لا يعبأ به ولا يشعرك انه تكلف فيه جهدا ... »

وفي الشعر المرسل والحر وضع الشاعران صلاح عبد الصبور وعبد الرحمن الشرقاوي عددا من المسرحيات الشعرية الناجحة ..

الاسكندرية — نقولا يوسف

الدكتور طه حسين والكاتب المصري

بقلم الدكتور محسن جمال الدين

* * *

غابت عن الامة العربية ، شخصية ادبية ، علمية ، صريحة ، شامخة . اتصفت بالعصامية ، والتواضع ، والجراة ، والبيان ، والتجديد ، والعمق ، والاطلاع ، والبحث ، والدراسة ، والترجمة .

تلك شخصية العلامة الدكتور الاستاذ طه حسين عميد الادب العربي ـ ١٨٨٩ ـ ١٩٧٣ . ولست ادري كيف استعرض حياته بهذه المقالة الموجزة ، او اعدد صفاته في هذا القول القصير .؟ واقلام الكتاب ، ورسائل المؤلفين ، وتعليقات الصحافة ، واخبارها ، قد اعطته بعض حقه علينا ، وعلى الادب العربي ، وتراثه النافع .

كان طه حسين في العالم العربي ، وفي الوسط الثقافي ، منارا يهتدى به في ليل المعارك الادبية ، والقضايا النقدية ، والمشاكل التاريخية .

جمع بين ثقافة عالمين شرقي وغربي . واحاط بجوهر ادبين عربي قديم ، ومعاصر حديث . له في اللغة العربية دولة ، هو فارسها ، ومعلمها ، وقائدها ، وخطيبها .

كانت معرفتي الشخصية به عام ١٩٤٨ في فندق (سان جورج) ببيروت ـ عند انعقاد مؤتمر الاونيسكو ـ وكان لي معه حديث طريف ، استجوبته يومذاك بما يشغل افكار المثقفين في العالم العربي ، وما ترجوه شعوبهم من منظمة الاونيسكو . وما تعرف عليه من الادب العراقي وشخصيات شعرائه . فاجابني بلطفه وسماحته بحديث ، مستشهدا بقول الشاعر العربي القديم :

منى ان تكن حقا تكن احسن المنى   والا فقد عشنا بها زمنا رغدا

واحتل الحديث الصفحات البارزة عند نشره في جريدة « النضال » البيروتية لصاحبها الاستاذ مصطفى المقدم .

ان كل اديب الآن سيشعر بالفراغ الادبي الذي سيتركه الدكتور طه حسين . لا لانه الاديب الوحيد ، الذي كان يملأ العقول والنفوس والعواطف ، بحسن اختياره ، وبعمق ادبه ، وبطلاوة اسلوبه ، وسحر صوته . فتلك امور قد يشاركه فيها من عاصره من الادباء ، او ناهضه من الخصوم . ولكن السر الذي يكمن فيه . انه اديب هضم الثقافتين الشرقية العربية ، والاوروبية الفرنسية . وما للفرنسية اليوم من ثقافة بارزة في الآداب العالمة .

كما ان لطه حسين من الفضل في توعية الجيل المثقف الطالع في تفهيمه معنى الحرية في القول ، والدفاع عن الفكر ، والتحرر من الرواسب المتحجرة ، والاعتزاز بالتراث العربي الناضج ، ودعوته الصارخة لمجانية التعليم ، وتحطيم شموخ الطبقة المتعالية فيه . كل هذا مما جعله من قادة الطلائع الفكرية في عصرنا الحاضر .

كما ان للدكتور طه من الفضل في ربط الثقافة العربية ـ الاسبانية . والاهتمام بالدراسات الاندلسية ، وابتعاث الطلبة لدراسة الادب ، والتاريخ الاندلسي في موطن الاندلس اسبانيا ـ وافتتاحه للمعهد المصري واصدار مجلة تنطق بالثقافة العربية الاسلامية مما يجعلنا لا ننسى افضاله . او نجحد معروفه .

وسيأتي زمن قادم من اجيالنا الجديدة يكون الاديب فيهم متحسرا ، لانه لم يعاصر طه حسين ، او يتتلمذ على يديه ، او يره بعينه . اما مؤلفاته فستكون في الصدارة من الكتب الادبية في خزائن الباحثين عربا وغير عرب .

طه حسين والكاتب المصري

ان جميع الذين كتبوا عن طه حسين ، وجميع الدوريات والمجلات التي خصته باعدادها ، لم تتوسع او تتطرق لمجلته « الكاتب المصري » . واردت الآن ان استعرض قيمة « الكاتب المصري » وصدورها ـ تاركا عرض الطريق ما اثير حولها وعنها ، وما قيل بشأن تمويلها ، والاصابع التي لعبت دورا في غلقها ، لاننا الآن نريد اللباب النافع ، وليس القشور الزائدة .

في شهر اكتوبر من سنة ١٩٤٥ . صدرت في القاهرة بشارع قنطرة الدكة رقم ٥ مجلة ادبية شهرية في شركة مساهمة مصرية سميت « بالكاتب المصري » راس تحريرها المرحوم الدكتور طه حسين ، وسكرتيرها الاستاذ حسن محمود . وجعلت شعارها تمثال الكاتب المصري الفرعوني القديم . وخرجت لقرائها في مئة وثمان وعشرين صفحة . من القطع الوسط .

وكان من ابرز كتابها في العدد الاول الدكتور طه حسين . وقد عالج الادب العربي بين أمسه وغده . والدكتورة سهير القلماوي ـ وقد كتبت عن الخلق في الفن . والاستاذ توفيق الحكيم . وشرح باسلوبه الفكه خلق آدم . والاستاذ محمد عبد الله عنان والاستاذ حسين فوزي وغيرهم اما حصة الشعر فكانت قصيدة « انت كالناس » للشاعر الاستاذ عبد القادر القط . كما امدت المجلة اقلام من العراق ، وسورية والسودان ولبنان ، والمغرب العربي والخليج العربي . ومن اوروبا واميركا والاتحاد السوفييتي وانكلترة . وقسمت ابوابها على الوجه الآتي :

(١) دراسات ادبية . (٢) دراسات اجتماعية

واقتصادية . (٣) دراسات سياسية . (٤) دراسات علمية . (٥) دراسات الفن. (٦) قصص . (٧) شعر . (٨) شهريات . (٩) من كتب الشرق والغرب . (١٠) من وراء البحار . (١١) ظهر حديثا . (١٢) في مجلات الشرق .

ومن المجلات التي اخذت « الكاتب المصري » منها مقتطفاتها هي : الادب ، المجمع العلمي العربي ، المكشوف ، الطريق ، الفكر الحديث ، البيان ، الثريا ، وغيرها .

وكانت « الكاتب المصري » عاملا مشجعا لصدور مجلة كريمة اخرى ساهمت في الثقافة العربية الرضية وهي مجلة « الكتاب » لرئيس تحريرها المرحوم الشاعر عادل الغضبان من دار المعارف بمصر .

اما طابع المجلة وخطتها العامة فهي :

« تستمد برنامجها وسيرتها من تاريخ مصر القديم والحديث ، وتنقل الى الشرق خير ما عند الغرب من المعرفة ، وتؤدي الى الغرب خير ما عند الشرق من تراثه الثقافي الخالد العظيم » .

واما بشأن العروبة ولغتها وآدابها فقد ذكرت :

« انها ستعني بقديم هذا الادب ، تدرس تاريخه ، وتكشف اسراره ، وتحيي آثاره » .

« وتعني بالادب الحديث الذي ينتجه المختارون من كتاب الشرق العربي ، تذيعه وتدرسه ، وتنقده ، وتشجعه ، وتجعله غذاء لعقول العرب ، وقلوبهم واذواقهم » .

ثم قالت بعد ذلك :

« بانها تعنى مع هذا كله بالآداب الاجنبية تعرفها الى القراء العرب بالدرس والنقد والتحليل » .

واصرت المجلة بانها لا تنشر الا الادب « الذي ينفق صاحبه في انتاجه الجهد العنيف والوقت الطويل » .

ولانها تعتقد بان الادب العربي « يكون تافها ، ومبتذلا اذا رافقه الانتاج السريع ، والاستهلاك السريع » .

« ولا بد ان تأخذ الاجيال العربية نفسها بالاناة من الانتاج الفني » .

اما حصة الشباب من المجلة فانها اشارت عن « غايتها بالشباب وتشجيعه ، ولكنها قاسية عليهم في النقد والاختيار » .

وتحدثت عن علمانيتها وتفكيرها الانساني بقولها :

« لم تختص بأدب شعب دون شعب ، وبثقافة امة دون امة ، ولغة دون لغة » .

ومن شعارها انها كانت « ترفع الادب عن هذه الخصومات التي تثيرها منافع الحياة العاجلة بين الناس » . وهي كما ذكرت « لا تنحاز الى طائفة ، ولا تتعصب لمذهب ، ولا تقيد نفسها الا بحقوق مصر ، والامم العربية في الكرامة والسفرة ، والحياة الصالحة التي لا يشوبها نقصان ولا هوان » .

هذه كما بينت غاية المجلة ، وتلك اهدافها العامة .

فهل كانت المجلة أمينة على هذه الاهداف ، وتلك الغايات .

نعم ! الى ابعد حد فانها فسحت صدرها لثمرات الاقلام العربية الناضجة ، ونقلت لنا خواطر الشباب العربي المتوثب ، وترجمت ونشرت وطبقت الدراسات الرصينة ، والكتب الشامخة من مؤلفات الغربيين .

ثم انها جعلت جائزة سنوية للقصة وكتابتها وتشجيع الشباب في الكتابة عنها وترك الحرية لهم في الزمان والمكان ، والاتجاه والبيئة ، مع الخلق والابداع في اللغة والخيال والاسلوب .

ثمرات الكاتب المصري

كان من جهود المجلة ان نشرت مجموعة نفيسة من الكتب الموضوعة بالعربية — والمترجمة ، نذكر منها على سبيل المثال والموضوع ، الثمرات التالية :

١) في الادب : كتاب البخلاء للجاحظ — تحقيق الدكتور طه الحاجري .

من حولنا — للاستاذ محمد سعيد العريان .

قطوف — للشيخ عبد العزيز البشري .

٢) في التاريخ والعقائد : تاريخ قضاة الاندلس — لابي الحسن النباهي المالقي . العقيدة والشريعة — للمستشرق جولدتسيهر .

٣) في الفلسفة : تاريخ الفلسفة الاوربية في العصر الوسيط — للاستاذ يوسف كرم .

٤) في القانون : مدونة جوستنيان في الفقه الروماني .

٥) في القيم والاخلاق : ازمة الضمير الاوربي .

٦) في التربية والمعرفة : تربية سلامة موسى .

وعقلي وعقلك — له ايضا .

٧) ومن القصص : قصة رجل مجهول — لتشيخوف . ولقيطة — محمد عبد الحليم . ومدرسة الزوجات — اندريه جيد . والمقامر — دستويفسكي . والحب الاول — ترجنيف . وصورة دوريان جراي — اسكار وايلد . ووالدة — فرانسوا موריاك .

٨) تراجم : نابليون — لاميل لودفيج . وكلمنصو — ليون دوديه .

ويطول بنا السير اذا نحن استعرضنا ما قدمت « الكاتب المصري » من الثمار الناضجة لعقول ابناء الامة العربية وقلوبها ، في ظروف الحرب العالمية الثانية ، وما كان يحيط بالاديب والكاتب والصحافي والناشر ، من احوال مادية قاسية ، واوضاع سياسية متباينة .

انطوت صفحة « الكاتب المصري » عن عالم الصحافة في سنة ١٩٥٠ بعد ان تركت الفراغ الذي لم تسده في

علي الجندي

محمد عبد الغني حسن

اقام مجمع اللغة العربية بمصر حفل تأبين للشاعر الكبير المرحوم علي الجندي ، عضو المجمع ، وعضو لجنة الشعر بالمجلس الاعلى ، وعميد كلية دار العلوم سابقا . وهذه هي مرثية صديقه وزميله الشاعر محمد عبد الغني حسن ، القاها نيابة عنه في الحفل ـ بسبب مرضه ـ الاديب الباحث اللغوي الاستاذ محمد شوقي امين

في كل عين دمعة جاريه ... وكل نفس حسرة باقيه
حين تنادى الجمع ما بينهم : ... مات الاديب الشاعر الراويه
مات .. فيا حزني على واحد ... فقدت فيه كل أحبابيه
فقدت فيه ماضيا مدبرا ... والدار ، والمجلس (1) والعافيه

في كل حين نبأ مفزع ... عن أنفس ذاهبة ماضيه
نكاد لا ننفض عن راحل ... غباره حتى نرى تاليه
نشيع الموتى ، ولا نرعوي ... كأننا في سكرة لاهيه
تدفعنا الارحام في لحظة ... ويحتوينا القبر في ثانيه
ونحن ما بين بداياتنا ... ومنتهانا صور فانيه

مات الذي كانت رواياته ... ذات اسانيد لها عاليه
تراه من كثرة محفوظه ... يدهش بالحافظة الواعيه
تعيد ما قد قرأت سابقا ... لا ضحلة الفور ، ولا ناسيه

مصر يومذاك والعالم العربي الا بعض مجلات هادفة رصينة ، مجاهدة « كالاديب » في لبنان ، و « الكتاب » في مصر . والتي سيكون حديثنا عنها في تذكير الادباء بصاحبها الشاعر عادل غضبان في دراسة مقبلة .

ان هناك بعض الجنود المجهولين في حياة طه حسين ومسيرته الادبية منذ ولادته ١٨٨٩ ـ حتى وفاته ١٩٧٣م وهؤلاء صورهم في كتابه الممتع « الايام » اما الذين ساهموا معه في « الكاتب المصري » من اهل دارته فهم : السيدة الفاضلة عقيلته ، والاستاذ الصابر سكرتيره « شحاتة » وكريمته « آمنة » وولده « مؤنس » . والصفوة من طلبته ، ومريديه . هؤلاء كلهم سيحلل المؤرخون لادب طه حسين ولشخصيته العلمية والادبية ، تأثيرهم عليه ، وانطباعاتهم عنه ، مثلما لعبت السياسة والظروف المصرية والعربية يومذاك على اتجاهاته الفكرية والوجدانية ، وكما ساهمت التيارات الاوربية الثقافية في عصره ، على حصيلة ما ابدعه قلمه النير ، وتفكيره الواسع ..

اما العراق فلقد كانت معاهده تدرس آثاره ولا زالت حتى اليوم . وكان ادباؤه يخصونه ببحوثهم ومؤلفاتهم وآخرها هو مؤلف الاستاذ الفاضل جمال الدين الآلوسي عن المرحوم « طه حسين بين انصاره وخصومه» نشره سنة ١٩٧٣ ولا لا زال حيا . واستمرت صحافة العراق اليوم باقلام اصحابها ، وكتابها تنعاه ، وتذكر آيات ابداعه ، التي ذكرها في ماضي الايام الشاعر الفذ الجواهري بقوله :

أحييك طه لا اطيل بك السجعا ... كفى السجع فخرا مخض اسمك اذ تدعى
نهضت بنا جيلا وابقيت بعدنا ... لابنائنا ما يحمدون به المسعى
ابا الفكر تستوحي من العقل فذه ... وذا الادب الفض استثرت به الطبعا
لك الله محمولا على كل خاطر ... ومن كل قلب رحت تحتله مرعى

رحم الله الاستاذ الدكتور طه حسين عميد الادب العربي . فقد كان عظيما في عصاميته ، رفيعا في ادبه ، خالدا في آثاره .

بغداد ـ كلية الآداب

محسن جمال الدين

والثنائيات الذكر ان يدعها   تصبح لديه سهلة دانيه
يظل يروي .. لا الوفاض انتهت   منه ، ولا جعبته خاليه
اما الدراسات فكانت له   فيها البحوث الحرة الضافيه
في «السجع» في «التشبيه» آثاره (٢)   ليست على طلابها خافيه
كم وردوا من نبعها صافيا   من البيان العذب او صافيه
اضفى على المتن بها رقة   واسبغ الحسن على الحاشيه
فلا ترى فيهن من منطق   جاف ، ولا من لفظة جاسيه
حتى «الشذا المؤنس»(٣) من ورده   ما زال كالنرجس في الآنيه
في « المجلس الاعلى» (٤) خطانا به   رائحة للشعر او غاديه
وفي لجان الشعر كم جلجلت   منه ومنا ثورة حاميه
يهدر باللفظ ... ولكنه   لم يرم يوما لفظة نابيه
في منطق عف ، وفي غضبة   تعود من ساعتها راضيه
اذا غضبنا فلامجادنا   وديننا ، واللغة الراقيه
وفي سبيل الله ثوراتنا   والحضر المحبوب ، والباديه

ومهرجان الشعر كم ذوبت   أنفاسه فيه ، وانفاسيه
يبثني ـ مستعبرا ـ مابه   أبثه ـ مسترحما ـ ما بيه
ناسى على الشعر الذي لم يعد   فيه رواء الاعصر الخاليه
ولم تعد هذا المذاق الذي   يلتذ طعم اللفظة الحاليه
ولم يعد تغرى شفاه به   ولم تعد أفئدة صاغيه
ولم تعد حتى الخلال التي   قد سنها الشعر لنا هاديه
كنا البقايا فيه من حفنة   لكل أمجاد لنا راعيه
لم نرض بالتجديد الا على   آثار اعراق لنا صافيه
ولم نزل في ظل امجادنا   نعيش في نعمى وفي عافيه

يا مجمعا (٥) للخلد ! ما باله   قد دهمته زعزع عاتيه
في كل يوم علم ينطوي   في كل حين قمة هاويه
وللردى عين ... ولكنها   على الذرا مفتوحة ، صاحيه
من ذا اعد اليوم من عقدكم   وكله حباته غاليه
أليمة ان الردى غاله   وبعثرته ريحه الذاريه
ان كان هذا الموت قد راعكم   بضربة من كفه راميه
ففيكم اليوم عزاء لنا   يا حجر الاخلاص في الزاويه
ويا أعز الناس في المنتدى   ويا جمال الحرف في القافيه

يا عمد الفصحى واركانها   ويا ضياء الليلة الداجيه
ويا تجاريب زمان مضى   ويا تجلي ساعة آتيه
لا ضير ان فل الردى جمعكم   وادركتكم سنة جاريه
كفاكمو خلدا هنا أنكم   تمضون ، والفصحى بكم باقيه

---

(١) الدار هو دار العلوم وكان الرائي والمرثى زميلين فيها ، والمجلس هو المجلس الاعلى للفنون والاداب ، وكان الشاعران عضوين بلجنة الشعر فيه . (٢) للمرثى مؤلفات بلاغية جيدة في فن الاسجاع ، والتشبيه ، والجناس . (٣) « الشذا المؤنس » هو اسم كتاب من كتب البيان للفقيد . (٤) المجلس الاعلى هو مجلس الفنون والاداب. (٥) الخطاب في هذا البيت وما بعده من ابيات موجه لمجمع اللغة العربية بمصر والخالدين من اعضائه .

القاهرة   محمد عبد الغني حسن

في فترة الاستراحة اليومية التي يحصل عليها عمال المصنع جلس الى مائدة يحتسي فنجانا من القهوة الرخيصة السوداء، وشريط الذكريات اليومي يمر امامه، في سرعة ، مصبوغا بلون القهوة ...

كانوا قد علموه في المدرسة ، ثم في الجامعة ، ان العلاقات الاجتماعية تخضع لقواعد معروفة . وصوروا له هذه العلاقات وكيفية تشابكها بخطوط بيانية متقابلة ، متوازية ، متقاطعة ، على انواع مختلفة من التقاطع . ولكنهم لم يصوروا له البشر وهم يتآكلون ...

قالوا له – ربما – ان بعض القبائل المتوحشة في افريقية او آسية كانت ، اذا ما ظفرت برجل غريب لحمه غض ريان ، تأكله اكلا، ولكنه لم يكن يدري ان هذا النوع من الاكل ليس سوى المظهر الحيواني لانواع اخرى من التآكل اشد ضراوة .

وحينما غادر المدرسة فالجامعة، حينما ترك الجو النظري البحت الى الحياة العملية ، وقد حشي دماغه بالمسلمات والمبادىء والاسس ، أقبل على الاشتراك في اول مسابقة يعلن عنها للحصول على وظيفة . فاكتفى بتقديم طلبه واوراقه وراح ينتظر موعد المسابقة وهو واثق بالنجاح : لانه يعرف مقدرته ويعرف انه لم يضع اي وقت من اوقات الدراسة ، وكان ملما بالمواضيع مستوعبا لها. وكان يؤمن بالفرص المتكافئة ، ويؤمن بمساواة المواطنين جميعا عند تساوي الشروط المطلوبة ، فقد قرأ ذلك وقرأ الكثير غيره في كتب متعددة المصادر ، موضوعة او مترجمة ، باللغتين اللتين اتقنهما، لغته العربية، ولغته الثانية الفرنسية .

ولاحظ ، خلال فترة انتظار الموعد ، ان المرشحين للمسابقة في حركة دائمة ، يطرقون ابواب الوزراء والنواب واي متنفذ آخر للحصول على توصية من اجل ضمان النجاح . بدأ يفهم ان اي واحد من هؤلاء ، اذا نجح ، فسيكون قد سرق محل متسابق آخر مكتف – مثله – بالاعتماد على النفس ، وعلى النظريات ، وعلى الاخلاق والمبادىء . وان هذا الناجح السارق ، عندما يصبح موظفا ويبدأ بتقاضي مرتباته ، فسيكون قد بدأ يأكل خبز غيره ، يأكل حياة غيره ، حياة انسان غافل او مغفل ، قد ييأس من الحياة فعلا ، قد ينتحر فعلا ، او يموت جوعا او قهرا ، او يعيش عيشة التقتير والحرمان . وذنب هذا المسكين ، هذه الضحية، انه انوف لا يقبل ان يلتمس المعونة والتوصية من احد ، ذنبه انه ليس



بقلم سعيد ابو الحسن

قريبا لوزير ، او مقربا من نائب ، او محسوبا على متنفذ ...

وجرت المسابقة في موعدها : ونجح . جاء ترتيبه السادس عشر بدلا من ان يكون الاول – حسب الاستحقاق – . انها مسألة بسيطة: خمسة عشر اكلوا حقوقه لنجاحهم بالوساطة ، واكلوا فرصته لان دوره للتعيين لم يجيء الا بعد عدة اشهر. المسألة بسيطة : لماذا يتعب نفسه بالتدقيق في هذه الامور وها هو قد عين اخيرا على الرغم من كل شيء ؟

قصة

وغدا عندما يبدأ عمله في الوظيفة سيظهر الفرق بينه وبين الذين اكلوا فرصته !.

وجاء الغد . ودخل الوظيفة فعلا ! وتصادف وجوده في مكتب واحد مع احد الذين (نجحوا) في المسابقة وكان ترتيبهم قبله . صار، هو ، يصل الى مقر عمله قبل بدء الدوام ، وينصرف منه بعد انتهاء الدوام . والناجح الآخر يجيء متأخرا وينصرف مسبقا . النفوذ يجر النفوذ : فما دام قد نجح بتوصية فهو ايضا يعمل بتوصية . لقد اصبحت التوصية اساس حياته كلها ، آمن بها وآمن بفائدتها واستغلها الى ابعد الحدود . ثم لماذا يعمل اصلا ما دام لا يجرؤ احد على مطالبته بأن يعمل ؟ انه يقضي وقته يتحدث عن نفسه وعن مغامراته المتنوعة ، ويتباهى بصلاته واتصالاته . ويشغل هاتف الدائرة بمخابرات تافهة لا فائدة منها ولا غاية من ورائها سوى تعريف كل من يتحدث اليهم انه صار شخصا ذا شأن وانه موظف خطير. ويدخن ويشرب القهوة ، ويتنقل من مكتب الى مكتب ليزور اكبر عدد من الموظفين فيعطل اوقاتهم . ويوم يقبض مرتبه يقبل على الصندوق قبل الجميع فيقبض ويدس المبلغ في جيبه وينصرف الى عبثه وفراغه .

لقد كان ، بتصرفاته هذه ، يلحق الاذى بالآخرين ولكن الاذى اللاحق بصاحبنا كان أشد من الاذى اللاحق بالآخرين جميعا : ذلك انهم كانوا قادرين على دفع الاذى عن انفسهم. كانوا قد اكتسبوا من الجرأة والخبرة ما يكفي لمواجهة مثل هذه الظاهرة . اما صاحبنا فكان ما يزال غرا لا يدرك من هذه الامور شيئا . فكان يؤدي عمله وعمل المقصرين من رفاقه بلا تذمر ولا تململ .

وحمل قدره وانضم الى قافلة الحاملين اقدارهم التي لا بداية لها ولا نهاية . ولو اقتصر الامر على

التآكل المتبادل بين الموظفين فقط لهانت المسألة . ولكنه تجاوز هذا البعد الى ابعاد اخرى لا تحصى :

فقد لاحظ صاحبنا ان هنالك صفقات يحرم منها مستحقوها ، وينالها غير مستحقيها ، نتيجة توصية ببطاقة او بمخابرة هاتفية ، من الذين اوصلوا الموظف الى مكانه غير المستحق . فلقد كان عليه ان يخدم اغراضهم بخدمة انصارهم : هنا مناقصة حجمها ملايين يحصل عليها شخص بوسيلة بسيطة وهي ان يطلعه الموظف خلسة على معلومات سرية يفترض ان جميع المتقدمين للحصول على التعهد يجهلونها ، ويقدمون عروضهم على هذا النحو من تكافؤ الفرص . ويوم فض العروض تظهر المفاجأة العجيبة : وهي توافق عرض الموصى به (المحظوظ) توافقا تاما مع تقديرات الادارة ، واذا هو صاحب « الحق » الذي لا ينازع في الفوز بالمناقصة والحصول على التعهد ، وبالتالي الاثراء على حساب الدولة وعلى حساب الآخرين ، أي اكل حقوقهم بطريقة غير مشروعة .

واخذ يفلسف الامور : « اذن هذا هو مجتمعنا ، وهذه هي حياتنا . تزوير ، تزييف ، تآكل . ونبقى نرزح في اغلالنا ، وننوء بأثقالنا ، ونعجز عن المواكبة في مسيرة التقدم التي لا تنتظر المتخلفين ، ولا تعبأ بالمتساقطين على الطريق » .

وظل يفلسف الامور الى ان قطع عليه حبل فلسفته حادث مفاجيء : لقد قرأ في صحيفة اعلانا تطلب به الحكومة مرشحين لبعثات دراسية الى الخارج من اجل التخصص العالي . قرأ الشروط : مجموع علاماته بالشهادة ، علامته بمادة الاختصاص المطلوب ، عمره ، تاريخ حصوله على الشهادة ... فاذا هو مستجمع لكل الشروط المطلوبة . وطار لبه فرحا - وراح ، في حماسة المقاتل ، يجمع وثائقه ويتقدم بطلب ترشيحه الى الجهة المختصة . واخذ ينتظر النتيجة ، في ثقة تامة .

ومن شدة فرحه كان قد نسي ان يحتفظ بالسر فأطلع جميع زملائه على الاعلان وعلى عزمه على ترشيح نفسه اذ ليس بينهم من يخشى مزاحمته .

وحين صدرت لوائح المقبولين راح يقرأها سطورا وما بين السطور . ولم يجد اسمه ، كما توقع ، لم يصعقه عدم وجود اسمه بقدر ما صعقه وجود اسم الزميل اياه ، في طليعة المقبولين .

وانفجر بالشتائم وعبارات التنديد : انهم لا يكتفون بأكل ماضيه وحاضره ، بل يأكلون مستقبله ، يأكلون آماله واحلامه !.

لا ! لن يسكت ، لن يستسلم ، لن يبقى في بلاده بعد اليوم : لقد احب بلاده حتى العبادة . اعطاها كل ما يملك، ولكنه لم يحصل مقابل ذلك على الشيء الوحيد الذي كان يتطلبه من دنياه وهو ان يحصل على المساواة ، ان يكون مواطنا كامل الحقوق مثلما هو مواطن كامل الواجبات ...

وقطع عليه سلسلة ذكرياته صوت الصافرة تدعو العمال الى استئناف عملهم . فنهض في سأم . وخلال سيره لاخذ المكان المخصص له امام سلسلة صنع اجزاء السيارات ، كانت تتراقص امام عينيه صورة ذلك الذي صار يحمل لقب دكتور في اختصاصه وصورة البيت الفخم الذي صار يملكه والمركز الرئيسي الذي يحتله في البلد ، صورة واحدة من عشرات الصور الماثلة ، مقابل آلاف وعشرات الآلاف من الصور الاخرى القاتمة من صور المأكولين امثاله ...

دمشق — سعيد أبو الحسن

الصوت والصدى

الى وائل حورانية ابن شقيقتي مني ، فهو ابني وان لم الده

●

أنا يا صغيري عرفت الطريق
وها أنت تاتي اليه صغيري
طريق قديم ، ودرب عتيق
كلانا وعدنا بهذا الطريق

مررت به وتركته قبلك
وثمة آخر ياتيه بعدك
تكون لديه سواء وغيرك
وكل سيلقاه مثلي ومثلك

أتعرف ماذا أحس صغيري
وحين تهم بذاك الاناء
واما سمعتك تنطق لثغا
أحس النقاء يسربل عمري

اذا ما لمحتك تدرج حبوا
فيهوي ويبدو سقوطه لهوا
كمعتذر واعتذارك سلوى
ارى الحياة بعينيك جدوى

طريق قديم ودرب عتيق
ارى لثغاتك صوتا اصيلا

تفجر فيه الحياة حياه
وصوتي أنا في الحياة صداه

دمشق — سلافة العامري


الدكتور محمد رجب البيومي

مع مؤرخي العصر

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

* * *

عرفت الاستاذ الدكتور حسين فوزي النجار كاتبا مؤرخا عالما فهو يملك اداء الفنان وسحره وتلوينه ويحيط بادوار الانسانية في مدها المتطاول احاطة المؤرخ الذي يرصد الظواهر المتتابعة ليضع القاعدة العامة ثم هو دائب الاطلاع في شتى فنون المعرفة ليتخذ من الثقافة العامة سبيلا لقوة النظر التاريخي، وغور العمق التحليلي، وقد سعدت بزمالته هذا العام استاذا بكلية اللغة العربية بالرياض ففرحت بمؤانسته العلمية ومسامرته الادبية فرح المستفيد الناهل من اصفى المشارب واهنأ الينابيع، ثم تفضل فأعطاني كتابه « هيكل وحياة محمد » لاخلو به ليلة هادئة من ليالي الشتاء الطويلة، فما كدت اقرأ سطورا من الباب الاول الذي عقده عن المعاصرين من المؤرخين حتى وجدتني في حاجة الى زيارته فأفصح عن بعض خواطري النابعة من حديثه تعليقا واستطرادا، ولكن البرد شديد، ولعل الرجل الكبير هادىء في نومه المريح، فلم يبق الا ان ادون هذه الخواطر في سطور تقرأ اذ اني على موعد مع قراء مجلة الاديب، وما احسن ان احادثهم هذا الشهر عن بعض المؤرخين من النابهين.

لقد بدأ المؤلف الكبير كتابه بمدخل رائع عن اعلام المؤرخين في عصره، فتحدث في ايجاز دقيق عمن سبقوا الدكتور محمد حسين هيكل في تدوين السيرة النبوية، واشار الى كتابات غير المصريين من امثال محمد كرد علي وجورجي زيدان ورفيق العظم وسيد امير علي واقبال، ليقف وقفة مستأنية لدى المصريين من المؤرخين فيحدد مكانة هيكل بينهم تحديدا يقوم على التتبع اللامح، والمقارنة الواعية، وقد جاء فيما قاله عن رفاعة الطهطاوي « انه كتب السيرة النبوية في مصر بعد المقريزي بأربعة قرون ولم يطرقها طارق جديد حتى كتب الدكتور محمد حسين هيكل حياة محمد بعد الطهطاوي باكثر من نصف قرن (١) ».

وفي هذا الكلام نظر، لان كتبا مصرية متعددة تخصصت للسيرة النبوية الطاهرة قد سبقت كتاب هيكل اذكر منها « مورد الصفا في سيرة المصطفى » لاحمد الحملاوي و « نور اليقين في سيرة خير المرسلين » لمحمد الخضري و « محمد المثل الكامل » لمحمد احمد جاد المولى، و « محمد رسول الله » لمحمد رضا وغيرها! فكيف جاز للكاتب الكبير ان يغفلها مع ان بعضها كان من مراجع الدكتور هيكل في حياة محمد! اذكر اني راجعت الدكتور في ذلك فذكر انه يعني بالكتابة ما ينحو منحى التحليل المحدد وهو ما يفتقد في غير ما كتب رفاعة الطهطاوي وهي وجهة نظر تخصه وحده، ولم يلبث ان تحدث عن اسلاف هيكل من المعاصرين المصريين فبدأ بالشيخ محمد الخضري فخصه بسطور صادقة تحدد مكانه التاريخي ووضعه موضعه الصحيح حين قال (٢) عنه في اصالة واعية.

« والواقع ان الشيخ الخضري قد نهج نهجا جديدا في عرض المادة التاريخية، وانه قد نفض حقا الغبار عن الورق الاصفر لكتب المؤرخين القدامى، فنظم المعرفة التاريخية وصنفها في اطارها من التسلسل الزمني ووحدة الموضوع، دون حظها من النقد والتحليل والاستقراء، مما يعد اساسا للمنهج العلمي الحديث في الدراسات التاريخية، وان برزت ذاتيته في التصنيف فقد قصرت في العرض، ولعلها كانت اكثر بروزا في تاريخ التشريع الاسلامي منها في المحاضرات، ولكنه كان اول رائد في هذا الميدان، ولعل عذره انه التزم بالمنهج المدرسي دون المنهج الدراسي، فكان مدرسيا اكثر منه أكاديميا ».

وقد نقلت كلام الدكتور عن الخضري لادفع به ظلما ساقه الدكتور طه حسين اليه وهو استاذه ورئيس لجنة الامتحان التي منحته الدكتوراه من الجامعة المصرية حين قال في كتاب « مذكرات طه حسين » ط دار الآداب ببيروت ص ٦٦.

« وكان من بين الاساتذة المصريين الشيخ محمد الخضري رحمه الله، كان يدرس التاريخ الاسلامي وقد سحر الفتى ــ يريد نفسه ــ بعذوبة صوته وحسن القائه،

١ ــ هيكل وحياة محمد ص ٢
٢ ــ المصدر السابق ص ٥

وصفاء لهجته ، واحب دروسه في السيرة وفي تاريخ الخلفاء الراشدين ودولة بني امية والصدر الاول من دولة العباسيين ، وكان يظن ان ليس فوق علم الاستاذ علم ، ولكنه لم يكد يسمع دروس التاريخ في اوربا حتى عرف ان الاستاذ رحمه الله كان ينقل دروسه نقلا من كتب القدماء في غير نقد ولا تعمق وفي أيسر ما كان يمكن من فقه التاريخ » .

فالقول بأن الخضري قد كان ينقل دروسه نقلا من كتب القدماء في غير نقد ولا تعمق يخالف الواقع السافر الذي عناه الدكتور النجار حين قال عن الشيخ انه نهج نهجا جديدا في عرض المادة التاريخية اذ نفض الغبار عن الورق الاصفر لكتب المؤرخين القدامى فنظم المعرفة التاريخية ، وصنفها في اطار من التسلسل الزمني ووحدة الموضوع دون حظها من النقد والتحليل والاستقراء » .

ثم ترك الشيخ الخضري ، ليتحدث عن الدكتور حسن ابراهيم حسن فقدمه تقديما حيا في ايجاز دقيق وقد قال انه « كان غزير الانتاج ، دءوبا في الجمع والبحث ، مزج ما بين معلومات المؤرخين العرب والمستشرقين الاجانب ، وتقيد براي هؤلاء واولئك دون ان يكون لنفسه رأيا شخصيا يقوم على النقد والتحليل (٣) » .

وروح التعاطف الودود تظهر في هذه السطور الموجزة اذ لم يشأ الكاتب الكبير ان يؤاخذ الدكتور حسن على شيء هام هو انه قذف بنفسه في فلاة شاسعة حين لم تقتصر على التاريخ السياسي كما فعل استاذه الشيخ الخضري بل توسع في غير اختصاصه حين شاء ان يؤرخ للتاريخ الثقافي والاجتماعي والديني ، ولذلك ألم بمعلومات مدرسية عن المعتزلة واهل السنة وامثال الشافعي ومالك واشباه البحتري وابن الرومي مما جعل القارىء في حيرة من هذا الحشد المتراكب طبقات فوق طبقات ! والرجل في لبابه مؤرخ فاذا كان قد ارتضى المنهج المدرسي لا الدراسي فهل راى في نفسه انه مدرس ادب وتشريع واجتماع ليسبح في غير ميدان ! لست انكر قيمة الرجل باحثا صبورا دائبا في حقل التاريخ ! ولكن انكر ان يصدر آراء محتشدة في امور لم يفرغ لدراستها المستأنية وهو استاذ جامعي كبير .

ولا ادري لماذا ترك الدكتور حسين النجار قريع الخضري ونظيره في مجاله التاريخي وهو اقرب الناس اليه اذ ينتمي الى أسرة النجار المتعددة الاغصان في مصر، ذلكم استاذنا العلامة الشيخ عبد الوهاب النجار استاذ التاريخ الاسلامي بالجامعة خلفا للخضري وصاحب « قصص الانبياء » و « الخلفاء الراشدون » و « تاريخ الاسلام » والايام الحمراء ولئن نهج النهج المدرسي في تأليفه فقد كان ذا رأي حر جريء في كل ما يتصدى له من بحث مع قوة عارضة متوثبة وسرعة شاهد ، وعمق ادراك ، واذا كان الدكتور حسين فوزي النجار لا يعبأ برأيي المتواضع في المؤرخين فاني اذكر ان الدكتور حسن ابراهيم حسن نفسه قد القى عن « عبد الوهاب النجار بحثا ضافيا اعترف فيه باستاذيته التاريخية الاصيلة ، وذلك بجمعية الشبان المسلمين بالقاهرة ، كما ان المؤرخ اللامع الاستاذ الكبير احمد رمزي سفير مصر السابق في روما افتخر باستاذيته افتخارا صادقا حين قال عنه في كتابه منادمة الحروب ص ٢٤٥ ما نصه :

« اما الاثر الذي توطد في نفسي فجاء عن التاريخ الاسلامي نتيجة للمحاضرات التي القاها علينا رجل من نوادر رجال مصر ومن اشجعهم واشدهم تمسكا بتعاليم هذا التاريخ الاسلامي الذي طالما اهملناه ، اعني به المرحوم الشيخ عبد الوهاب النجار ، كنا في السنوات الاولى بمدرسة الحقوق ، وكانت الدراسة في الصباح ، فاخذنا نتلقى دروسا بكلية الآداب بالجامعة المصرية القديمة ، وتتلمذنا جميعا على هذا الاستاذ الكبير الذي عرفنا منه رجال المراجع مثل الطبري وابن الاثير والبلاذري وغيرهم ، وكان القاؤه رحمة الله عليه وقت الدرس يحرك المشاعر ، فهو اذا تحدث عن الدولة العباسية جاء بالاسانيد ، وقرن التاريخ بالادب ، وتحدث حديث المؤرخ الواعي الذي يعيش في الفترة التي يتكلم عنها ، فهو لا يسرد لك الحوادث فحسب ، بل يعلق عليها ، وينتقل الى تلك الفترة فكأنك عشت فيها وعرفت رجالها وسمعت خطبهم ، وكان رنين كلامه قويا يتغلغل في النفس فكنت اخرج من الدرس وفي مخيلتي الالفاظ والكلمات التي استعملها وابيات الشعر التي رتلها ، فتلازمني واجد نفسي مدفوعا الى مراجعة هذه النصوص واستكمالها ، لكي تلصق بذاكرتي فأتكلم بها واستشهد بما فيها ، ومن فيض هذا الاستاذ العظيم عرفت التاريخ الاسلامي ، واطلعت على كنوزه ، وكتبت فيه فاليه يرجع الفضل الاول ، واني لاعده في الطليعة الاولى من خدام هذه النهضة المباركة » .

وقد ترك الدكتور حسين النجار صاحب تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ليتحدث عن المؤرخ القدير الاستاذ عبد الحميد العبادي ولو كنت مكان الكاتب الكبير لقدمت العبادي في الحديث على تلميذه حسن ابراهيم حسن ، لان العبادي كان استاذه من ناحية اذ درس له التاريخ بمدرسة المعلمين العليا ، كما سبقه الى الرحيل عن هذا العالم من ناحية ثانية فكيف يأتي تاليا له ! وقد اجاد الدكتور النجار في حديثه عن المؤرخ الدقيق اجادة موفقة اذ ان العبادي كما قال عنه المؤلف « كان على اصالته وعمقه في البحوث التاريخية قليل الانتاج لا ندري أعن كسل ام عن رهبة وخوف من

٣ ـ هيكل ص ٦

مواجهة الجماهير » .

وانا اعلم شخصيا ان المؤرخ الكبير كان يقدر مسؤوليته العلمية تقديرا يتجاوز بها كل حد ، فقد حدثني استاذي الكبير احمد حسن الزيات ان العبادي رحمه الله قد كتب الجزء الاول من فجر الاسلام في اكثر من خمسمائة صفحة متحدثا عن الحالة السياسية وفق الخطة التي رسمها مع الدكتورين طه حسين واحمد امين ثم اخذ يعرضه على زملائه من اعضاء لجنة التأليف والترجمة وكلهم من الجامعيين ومن في مستواهم فأثنوا على الكتاب وطالبوا بنشره وكان الزيات بين من قرأوا الكتاب ولكن العبادي توهم انخفاض مستواه العلمي توهما لا اساس له غير التواضع الاصيل في شمائله ، فحبس كتابه عن النشر ، كما اذكر انه كان يتصل احيانا بالمجلة التي يرسل اليها بحثا تاريخيا ـ كالرسالة والثقافة ـ ليرجو التمهل في نشره اذ عن له من الاضافات ما يجب ان يلحق بالبحث ، وتمضي الايام والمقال دفين في مكتب رئيس التحرير لا يرى النور الا بعد امد ، وقد لا يراه على الاطلاق ، ولست اؤيد الرجل الكبير في تشدده هذا ، ولكني اسجل واقعا اعلمه ، واذكر ان استاذي الشاعر الكبير عبد الرحمن شكري كان من هذا الطراز المتحرج ، حتى اخرج اكثر من مائة مقالة ادبية وتاريخية وفلسفية غفلا دون امضاء ، وكان صاحب « المقتطف » احيانا يعقب المقال بامضاء (ع. ش) فيجد من شكري كل عتاب ومؤاخذة !

والعبادي على اصالته التاريخية اديب كاتب ، له خطوات الفنان وسبحاته وقد ارتجل اثناء عمادته لكلية الآداب بالاسكندرية بحثا شائقا عن الشعر العربي بجمعية الشبان المسلمين بالاسكندرية تعقيبا على ندوة شعرية ، فكان ذا آراء صائبة في الشعر المعاصر مع انها آراء مرتجلة قيلت في معرض التعليق ، ولعل احدا لو سجل حديث الرجل لنشره لوجد منه كل اصرار على الكف والامتناع .

اما الشائق البديع حقا في مبحث الدكتور النجار فهو كلامه عن المؤرخ البحاثة الصبور الاستاذ محمد عبد الله عنان اذ توسع في الحديث عنه توسعا مقتدرا كان القراء في مزيد الحاجة اليه ، لان المؤرخ الشامخ الاستاذ محمد عبد الله عنان رجل جاد عظيم الاخلاص قوي التقدير لتبعة البحث التاريخي وقد اخصب المكتبة الادبية بكتب ممتازة تجمع الاصالة الواعية والاستيعاب الراشد ، والنظر الممتد ، والاستشفاف البصير ، مع جزالة متماسكة لا تسمح بانسياب عاطفي او اطناب خطابي ، والرجل من بعد ذلك لا يلقى من حفاوة المعاصرين ما يلقاه استاذ ناشيء لمادة التاريخ بكلية جامعية ، كل همه ان يلوك حديث سابقيه مباهيا بكثرة المراجع الموهومة وما دام الطلاب يشترون المذكرات اجباريا للامتحان فهو يسطو ويسطو ليقدم المكرر المعاد متوجا باسمه غير الكريم هذا الطراز وامثاله كثيرون ويحسبون انهم على شيء ، الا انهم هم الكاذبون ، وصدق الله !

وكان النجار دقيق الملاحظة حين قال (٤) « والغريب ان يكون اقدر المؤرخين من خارج الجامعة ، وممن يقال عنهم وفقا للمصطلحات الجامعية غير متخصصين ، فلم يكن من الجامعيين في التاريخ الحديث ما كان المؤرخ عبد الرحمن الرافعي ، وان كانت الجامعة قد انجبت مؤرخا من افذاذ التاريخ الحديث ، غزير الانتاج هو الدكتور محمد فؤاد شكري ، ولم يحل ما لقيه من اضطهاد زملائه وحسدهم دون انتاجه الغزير وقد ظل عاكفا على بحوثه حتى اقعده مرض افقده الذاكرة الى ان لقي ربه »' .

هذا التطواف الجيد في حقل التاريخ المعاصر كان تمهيدا ساقه الدكتور النجار لايضاح منزلة الدكتور محمد حسين هيكل التاريخية ، وقد وفى صاحبه حقه توفية دقيقة موجزة واقول موجزة لان المؤلف الفاضل لم يشأ ان يفرد كتابا خاصا بتحليل جميع ما ترك هيكل من آثار ، مع ان النجار جدير بتأليف هذا الكتاب فان ايجازه الدقيق يضم في طواياه حواشي فسيحة لو انفرجت وفق امتدادها الطبيعي لكانت خير ما يكتب عن هيكل الكبير ، وقد اصدر النجار تراجم مسهبة عن لطفي السيد ورفاعة الطهطاوي وعلي مبارك وثلاثتهم لم يبلغوا من نفسه مبلغ الدكتور هيكل وقد كشف عن حيواتهم الشخصية والثقافية والاصلاحية كشفا باهر الاداء قوي النظر دقيق التحليل، فكيف به لو وجد المجال الفسيح للحديث عن استاذه الاثير الدكتور محمد حسين هيكل ! انه ليفيض ثم يفيض ، ولن اقول ذلك انتقاصا لما كتبه الرجل الفاضل عن هيكل اذ انه ارتضى الايجاز حين وجد المجال مختصا بالحديث عن حياة محمد بالذات اذ قدم عنه دراسة وافية للنشر بمجلة تراث الانسانية ثم رأى ان يمهد لها بتحليل كاشف لشخصية الرجل ، وحديث مجمل عن آثاره ، فوضع عناصر مركزة نرجو ان يتفرغ لشرحها اذ ان عشاق هيكل كثيرون ! وهيكل ذو حياء عازف فلم يتملق تلاميذه ليرجعوا اليه ويكتبوا عنه كما فعل بعض معاصريه ، بل كان يفر فرارا ممن يسعون الى التعرف به ، وقد شاء القدر الجميل للدكتور حسين ان يكون جليس الكاتب وانيسه وتلميذه حقبة ناضرة امدت روحه بالاشعاع وعقله بالتوثب ونفسه باليقظة الحية ذات الانفعال الجياش ، وقد ظهر ذلك كله فيما كتب الرجل الكبير عن استاذه العظيم وعن كتابه « حياة محمد » اذ افاض في تحليل شاف يجدر ان يكون مختصا ببحث خاص يفي بقدره الكبير .

---

٤ ـ هيكل وحياة محمد ص ٧

غـــــربـاء

الدكتور لطفي عبد الوهاب يحيى

جامعة الاسكندرية

التقينا وافترقنا
ثم صرنـا غرباء
مثل لمح البرق صرنا غرباء
وانتهى في لحظة حلم تراءى ذات يوم
وتهاوى عند اقدام نهار
حارق الخطوة محموم الضياء

كان حلما أضرم الليل نجوما وشموسا
فتجلى الكون لألاء وأسراب حمام
ومـلايين زهـور
وابتسامات ندى عند صباح
راقص النغمة منثور البهاء
يا حبيبي لم صرنا غرباء

ليتنا كنـا تروينا قليلا
وفهمنا لغة القلب قليلا
وسمعنا نبضة الروح قليلا
ليتنا كنـا عببنا ...
من رحيق الحلم والحب طويلا
آه يا دنياي كم ينشج قلبي
آه يا دنياي كم تصرخ روحي في خواء
يا حبيبي هل تفرقنا وصرنا غرباء

يا حبيبي لم قلنا كلمة الفرقة لغوا
وتركنا حلم الجنة يهوي
وحطمنا لحظة العمر بأيدينا ...
ورحنا نضرب الارض جنونا وهباء
يـا حبيبي لم صرنا غرباء

الصباح الحلو يسعى من جديد
والشروق الناعم البسمة يسعى من جديد
وبساط الخضرة المدود ينداح نديا
ونسيم الشرفة الصبحي يجتاح كياني
وعلى الافق حمامات وزهر ورواء
يـا حبيبي لم نبقى غرباء

وقد دعته المقارنة بين النظراء الى ان يقول (٥) عـن بعض من كتبوا عن نبي الاسلام: «ولم يبلغ، ايهما (العقاد وطـه) ما بلغ هيكل في منهج البحث التاريخي وان طوع طه حسين التاريخ لقصص عذب جميل ، وطوع العقـاد صور التاريخ لوحي العبقرية وسمو النبـــوغ ، فكانت كتابتهما مسلاة لهواة التاريخ اكثر منها وردا للباحثين في التاريخ » .

والحق ان كتابة الدكتور طه حسين عن رسول الله في هامش السيرة مسلاة حبيبة لانهـــا تحمل الطابـــع القصصي بمشوقاته المغرية ، ولن ينزل بها ذلك شيئا في مجالها الفني البديع ، اما كتابة العقاد فليست من المسلاة في شيء ولكنها جهد آخر كجهد هيكل فيه صبره ونفاذه واخلاصه ، اذ لا جدال في ان العقاد قد احتفل لكتابـه احتفالا جعله عظيما في بابـــه ، وان اختلف الاسلـوب والمنحى في الكتابين اختلافا توحي بـــه طبيعتا الكاتبين العظيمين ، وما منهما الا له مقامه المعلوم ووزنه الرجيح.

الرياض ـ كلية اللغة العربية — محمد رجب البيومي

٥ ـ ص ٢١ من كتاب هيكل وحياة محمد .



محمـود تيمـور

محمود تيمور كما عرفته

بقلم وحيد الدين بهاء الدين

* * *

في اواخر الاربعينات كنا زمرة من الشبان على مقاعد الصفوف الاعدادية بمدينة كركوك ممن تقاربت اعمارهم وتماثلت مشاربهم وتوافقت ميولهم نتطلع نحو اضواء الحياة وافاقها الجديدة ونغرف من مصادر الثقافة بكل اتجاهاتها والوانها ونتواصل في ما بيننا سجالا وحوارا بما كان لنا من ارضية نضطرب فوقها وامكانات نتشبث بتلابيبها .

كانت قراءة القصة والشعر احب الاشياء الى نفوسنا وكانت شهرة محمود تيمور كرائد للقصة العربية قد سعت حثيثا الينا والى غيرنا من قبل في الوقت الذي تناهت الى مسامعنا اصداء اريحيته في اهداء مؤلفاته ورواياته الى القراء في معظم الحالات ...

من هنا كان الاتصال الادبي به في منتهى اليسر . وكان مجرد ارسال رسالة اليه كفيلا بضمان جواب شاف منه مشفوعا ببعض من انتاجه بما عرف عنه من اصالة المحتد ودماثة الخلق ورهافة الحس ويقظة الضمير الانساني .

كنت من اوائل من كتب اليه ...

اذ تلقيت منه جوابا يفصح عن اهتمامه بالناشئين واخذه بايديهم الى الافضل واسدائه النصح اليهم في فن القصة كذلك يدلل على ايمانه بوحدة الثقافة العربية وضرورة تعزيز عراها وتمكين اسبابها . يقول في رسالته المؤرخة بالثامن والعشرين من ايلول ١٩٤٧ :

« فنحن ابناء العرب نعتبر انفسنا اسرة واحدة علينا ان نتعاون ونتآزر ونعمل جاهدين في سبيل تعزيز الروابط والصلات بين الامم العربية » ..

كان ذلك الجواب المشجع جديرا بان يجعل شابا مثلي تزهو به المراهقة الفكرية يتعلق بهذا الرجل الفاضل من الناحيتين : الوجدانية والادبية . انما يستهويني من الانسان خلقه قبل علمه . اصل الحضارات والمدنيات لم يقم الا على الاخلاق ولم يدم الا بقانونها ...

شرعت اكتب الى محمود تيمور .. طارحا عليه حينا بعض الاسئلة وراجيا حينا اخر الاسترشاد بتجاربه الفنية وآرائه في مجال المعرفة ، الى جانب استغراقي في مطالعة ما تصل اليه يداي من كتبه واثاره باستعارة بعضها من الزملاء والاصدقاء وبابتياع بعضها من المكتبات وباستهداء بعضها الاخر منه توطئة لكتابةشيء او لتسويد صفحات اعني : لمزاولة فن القصة والركوب في هذا المركب الخشن . ومما قاله في رسالته المؤرخة بالتاسع عشر من كانون الاول ١٩٤٨ : « واني احيي فيكم اهتمامكم بالادب وتوفركم على المطالعة كما اهنئكم ببدايتكم الكتابة في فن القصة كتب الله لكم الفوز في هذا المضمار » . كما يقول في رسالته المؤرخة بالرابع من اذار ١٩٤٨ : « واحيي فيكم غيرتكم على الادب واهتمامكم بالبحث الثقافي كما اشكر اخواننا ادباء العراق الذين يلاقون مؤلفاتي بهذا الترحاب معتزا بهذا التكريم وخاصة من اهل كركوك الاماجد .. » .

اصطلحت الامراض على محمود تيمور منذ صغره فعاش حياته يصارع الآلام والاسقام ويتحدى الاكدار ثمانين حولا بارادته وتفاؤله وتعاطيه العقاقير بلا كلال ثم فرضه ــ هذا اهم ما في الامر ــ السجن على نفسه بالمنزل لا يبارحه ولا يستقبل فيه احدا غير الطبيب مخلدا الى الراحة والهدوء واذا اضطر ــ والحالة هذه ــ ان يجلس الى مكتبه فان (ما يعنيه ان يتفقد اعوانه الامناء من علب وحقاق وقوارير .. فهذه علبة (الاسبيرين) وهذا حق (البيكاربونات) وتلك قارورة قطر النعناع) (١) ..

وفي شباط ١٩٦٩ الزمه المرض الفراش شهرين كاملين وحين استعاد مألوف نشاطه بعث الي برسالة جاء فيها : « ولكن الله من علي بالشفاء وكما قلت من نحو ثلاثين سنة لنفسي في اخر مقال كتبته يومئذ : لسه لك عمر !؟ اعني ما زال في الاجل بقية وكما يقول المثل المشهور عندنا : اعطني العمر وارمني في البحر .. » .

كان محمود تيمور رحالة من نوع مميز ، فما منعته الامراض التي تألبت عليه وشواغل الحياة التي اعترضت سبيله ، ومظاهر النعمة التي طالما ازدهت به ، من القيام بسفرات الى اصقاع شتى من العالم : شرقا وغربا ، نشدنا للجمام وترويحا للنفس وطرحا لاعباء الدنيا

وهمومها ولو بعض الشيء . وكان الاصطياف في ربوع سويسرا امتع شيء عنده واروع ، فقد مات بهـا نجله الوحيد « سعيد » قبل اكثر من ربع قرن ثم شاء ربك ان يموت هو الاخر على ارضها في السابع والعشرين من آب ١٩٧٣ حيث توخاها في هذا العام بينما في العام الفائت آثر معانقة البحر ومناغاة الطبيعة على شواطىء الاسكندرية وفي كازينو « بترو » بالذات الى عشرائه : توفيق الحكيم ونجيب محفوظ وحسين فوزي ونقولا يوسف ... « ولا تدري نفس باي ارض تموت .. » .

والطريف ان محمود تيمور ما ان يؤوب من رحلته وتستقر به الحال قليلا حتى يلوذ بمكتبته ويعكف على اوراقه ليخرج بعد ايام على القراء بكتاب « رحلاتي » ان صح التعبير وهو طافح بالطرائف والجدة .

وطالما رجوته زيارة العراق وهو البلد المضياف وله فيه عدد من اصدقائه والمعجبين بادبه لكنه كان يعتذر لمتاعبه واوجاعه ويتألم في الوقت عينه لان يعز عليه رؤية هذا القطر العزيز والالتقاء باحبته فيه . من هنا يقول في رسالته المؤرخة بالواحد من اذار ١٩٥٤ « اما عن سفري الى العراق فانه امنية غالية عندي وكان بودي ان اشرف بزيارة هذا القطر الحبيب الى نفسي ككل بلاد العربية العزيزة ولكن ارجو ان تكون الفرصة مواتية ان شاء الله لنحظى بلقاء الاخوان في وطن له في قلبي مكانة واعزاز .. » .

ثم كان من المقرر ان يحضر مع اعضاء مجمع اللغة العربية الى بغداد للمشاركة في دورته التي انعقدت بها في عام ١٩٦٦ .

وفي اليوم الموعود بينما نحن في انتظاره في فندق بغداد والشوق يستبد بنا واذا بالصديق الدكتور مراد كامل احد اعضاء المجمع يخدش سمعي : ان الحوائل في اخر لحظة حالت دون قدوم محمود تيمور واحمد حسن الزيات .. لقد كانت الفرصة مواتية كما اراد محمود تيمور ... ولكنها ضاعت !؟

عملت الايام المتطاولة على ترسيخ صداقتي الفكرية والروحية مع محمود تيمور ، وكان من جانبه يعدني « صديقا قديما له .. صديقا وفيا .. صفيا » . من هنا كانت مؤلفاته تتوالى علي على مدى الاعوام حتى بت املك معظم هاته المؤلفات وهي مزدانة بكلمات الاهداء الرائعة وممهورة بامضائه الواضح الكاشف عن نفس نقية شفافة .

وعبر هذه الصحبة التي استغرقت ربع قرن من الزمان لم ابد اي تقصير في حقه على نحو من الانحاء . ثم كان لي شرف الكلام على ادبه مرتين (٢) . اضافة الى ما كانت رسائلي تنطوي عليه من حديث خاص وتقييم موضوعي لكتبه . غير اني وددت في اخريات ايامه ان اكرمه تكريما معنويا وارد اليه بعض جميله علي .. فقد اعطاني من عقله وقلبه ومهد طريقي بما وسعه وبما اغدق علي من الطاف ادبية لا تنسى ..

كيف انسى وهو الذي نشر لي في اول عهدي بدنيا الادب ، مقطوعة وجدانية عنوانها « خواطر هائمة » على صفحات مجلة « العالم العربي » المصرية في شباط ١٩٤٩ ، لم اطلع عليها لتوي ، لمصادرة رقابة العهد الملكي المنقرض لها بسبب مقال سياسي نشره فيها صديقي الكاتب العربي وديع فلسطين عن « ما معنى الاعتراف باسرائيل » .. هذا المقال الذي ان كان بدد احلامي الوردية يومذاك فانه دلني على صاحبه لاول وهلة ..

وكيف انسى ومحمود تيمور اعار لرسائلي المنوعة ولتطلعاتي الثقافية الاهتمام المنشود وعلى نحو مستدام ، بينما عرفت من خلال خبراتي الادبية والذاتية ادباء وعلماء ان لم تعوزهم المعرفة الرفيعة فانما اعوزتهم الاخلاق الصحيحة .. وهل الاخلاق الا قبل العلم شئتم ام ابيتم .

ثم كيف انسى هذا الانسان الاسر بتواضعه ونبوغه وانا الذي تأثرت باقاصيصه ولغته فترة كانت من اشهى فترات عمري !؟

لذا كان واجبا علي ان اهدي اليه مجموعتي القصصية الاولى المسماة « نداء الشوق » (٣) اعزازا لمكانته وشخصيته الجذابة المتميزة واعترافا بافضاله علي واعماله الخالدة في ميدان الفن الاصيل .

حتى اذا ادركته النسخة الاولى من الكتاب بالبريد الجوي المضمون ، اسرع يكتب الي جوابا كله اصالة وروعة . يقول فيه : « اهنئك بمجموعتك القصصية الموسومة ب « نداء الشوق » . فلقدتلقيتها بمشاعر الابتهاج بان يتاح لانتاجك الادبي الخصب هذا المظهر من الاخراج وبأن يتهيأ لقراء العربية بنشر هذا الانتاج ، التعرف الى ابداعك الفني في المجال القصصي .

ثم اهنئك ايضا بما وهبك الله من نفس خيرة نبيلة .. اصيلة تحدوك على ان تكرم عارفيك ومحبيك فتشيد بهم وتكبر شأنهم . وحقا هزتني كلمة الاهداء التي وجهتها الى شخصي في صدر الكتاب واحسستالاعتزاز بان يذكرني قراؤك وهم يقبلون على كتابك الممتع وهذه مثوبة تمنحني اياها بفضل منك مشكور .

واني اكتب اليك هذه السطور ولم افرغ بعد من قراءة قصصك كلها بين دفتي كتاب يدفعني الى ذلك اني اتعجل الكتابة اليك والافضاء بمشاعري نحوك وساعود الى استئناف قراءة ما لم اقرا من القصص بل سأعيد قراءة ما قرات منها . على ان القدر الذي فرغت من قراءته يشف عن منحاك القصصي وهو منحى يعالج القصة على هدى من التحليل النفسي وليس هذا التحليل النفسي الا كشفا عن العواطف وتعليلا للاحداث واستخلاصا لحقيقة الصراع بين المرء وما يلابسه من شأنه وما ينتابه من حال وبهذه الخلة وحدها يرجح

ميزان عملك الادبي ويسمو الى مستوى الادب الرفيع وعلى فرط اهتمامك بهذا التحليل النفسي لا يفوتك انك قاص اديب هدفك امتاع القارىء الى جانب تبصيره بالحقيقة وهنا يتكفل اسلوبك العذب الرقراق بايناس القارىء وهو يصاحبك ويلقي اليك بسمعه وفكره جميعا. وفي هذا كله ما تهنأ به اعمق تهنئة ..

وبعد فاني باعث اليك في البريد بنسخة من كتابي الجديد « طارق الاندلس » (٤) ولك اجمل تمنياتي واصفى مودتي .. » .

في عام ١٩٦٨ قمت برحلة الى مصر . كان يهمني فيها ان التقي باصدقائي ومعارفي من المفكرين والادباء ، واحاورهم في هذا الذي تتواصل حلقاته الفنية والوجدانية بيننا على ترادف الايام ..

بالضرورة كان من امنياتي ان اكحل نظراتي بصديقي العظيم محمود تيمور ..

عبر الهاتف وفي احدى الليالي كانت كلمات الترحيب تنساب من اعماق محمود تيمور ..

ـ هل لنا ان نلتقي ؟

ـ وكيف لا نلتقي !

ـ ارجو ان اتشرف بلقياك عاجلا ..؟

ـ لا .. انا الذي ساحضر الى الفندق للسلام عليك ..

ـ ولكنك متعب ؟

ـ انت ضيف.. والضيف يجب ان يزار (ومتابعا):

ـ هل قابلت احدا ..؟

ـ بعضهم .. واود زيارة طه حسين ؟

ـ زيارته صعبة لمرضه . والطريق اليه وعر مسلكه ..

ـ ينبغي ان اراه ؟

ـ حاول ان تهاتف سكرتيره الخاص لتحصل منه على موعد معه . واذا اخفقت فاني على اتم استعداد لمعاونتك ...؟

ـ الف شكر ..

وتصرمت الاوقات ....

ويأتي محمود تيمور ظهر احد الايام الى فندق «اطلس» الذي كنت احل فيه على غير سابق موعد ولما لم يجدني ترك لي بطاقة جاء بها : « حضرت بنفسي لاحييكم راجيا لكم طيب الاقامة بيننا واهنئكم بسلامة الوصول » .

ليلا عجلت الى الهاتف اريده ولاقول له :

ـ آسف على خروجي من الفندق ظهر اليوم لارتباطاتي الاخرى وعلى قدومك على غير سابق موعد ؟!

ـ كنت في طريقي من مجمع اللغة العربية الى المنزل فرغبت في ان اعرج على الفندق لعلي اجدك فيه (ومتابعا) :

ـ وهل اتصلت بالدكتور طه حسين .. ؟!

ـ لقد قابلته .. وكان الحديث معه طويلا وماتعا لا يمحوه كرور الزمان من ذاكرتي . كذلك قابلت توفيق الحكيم ..

ـ احسنت .. ولكن مقابلة توفيق الحكيم اصعب لانه لا يطمئن الى الصحفيين ..؟

ـ لست صحفيا بالمعنى الصحيح . مع هذا فاللقاء معه بمكتبه بالاهرام كان داعيا الى الغبطة والدهشة معا ؟

ـ وهل نتفق على موعد اللقاء ..؟!

ـ وهو كذلك ....

وجاءني محمود تيمور في الموعد المضروب يتكىء على عصاه وقد ارتدى معطفا ازرق غامقا ، وعلا راسه قلنسوة بينا يطل على العالم الصاخب من وراء نظارة سوداء سميكة .

بعد تبادل التحيات والقبلات قدته الى غرفتي بالفندق لنغرق في حديث مستطاب يحلو ايراده في مناسبة اخرى الا اني سألته السر في سخائه المستديم في اهدائه شيئا من مؤلفاته الى القراء والى الذين يتصلون به ، ويكتبون اليه .. قال رحمه الله : ان القارىء الذي يضمر لادبي الاعجاب ويقرأ كتبي باستمرار مقدرا ومهتما ثم مفصحا عن هذا كله على القرطاس ، لهو الخليق بان تهدى اليه الكتب . وهل ثمة اعزاء على الاديب سوى القراء ثم هذه سنة مشيت عليها منذ طفقت ازاول فنون الكتابة والقصة .

كان ذلك اول لقاء واخره !!

ادركني نعيه وانا بمدينتي كركوك ...

فتمثل لي وفي افق الذاكرة ذلك اليوم من ايام عام ١٩٤٧ ، فقد عرفت محمود تيمور فيه وتعرفت اليه ، وانا بكركوك ايضا ..

وتجلى البعد الزمني .. اين منه الابعاد الاخرى ؟!

هنا فزعت الى كتابة « عطر ودخان » لاقرأ فيه ما سبق ان قرات من كلماته الرقاق الحكيمة : « فاذا سألت نفسي ماذا اريد بعد الموت ان يذكرني الناس به ؟ لم اجد من جواب صريح اركن اليه . الا اني ارجو ان يعوضني الله عما فقدت ولا انشد غير ذلك من تعويض . فليقل الناس في ما يشاؤون من خير او شر .. » .

ولن يقول الخير الا المنصف ..

بغداد — **وحيد الدين بهاء الدين**

---

١ ـ انظر (عطر ودخان) لمحمود تيمور ط٢ ص ١٧٦

٢ ـ انظر كتابي (من الادب العربي الحديث) ط١ ص ٤٥ و (نظرات في الكتب) ط١ ص ٣٦

٣ ـ تولى نشره اتحاد الادباء التركمان بالعراق عام ١٩٧٣

٤ ـ لقد كتب الراحل على الصفحة الاولى منه : (استجابة لنداء الشوق) اهدى الى صاحبه الصديق الكريم الاستاذ وحيدالدين بهاء الدين كتابي الجديد شكرا ومودة وتقديرا ..) .

يوم ذكراهما

الام راقدة على ضفاف الريو غراندي في الباسو تحت جناحي جبل فرنكلين والاب راقد تحت ظلال كنيسة مار الياس وفي هدب حرمون ـ راشيا الوادي

وكنا كعنقود العريشة خمسة   بكرمة بيت خالد الحب والذكر

تقيم به ام رعى الله يومها   بظل اب ما زال في حنية الصدر (١)

مضى قاصدا مغنى الرفيق مبكرا   وخلى الاسى للقاصرين وللبكر

وزوج كعرف الياسمين خلائقا   حبتها السما وجه الملائك والطهر

وقلبا كقلب المريمية عفة   ثوى مطمانا في رحيب من الصدر

وكبرا كحرمون الاشم يزينه   جمال كلالأ الكواكب والزهر

تظللنا في كرمة البيت دوحة   وقينا بها لذع الهجيرة والفقر

وكنا كمنظوم النشيد مخمسا   قوافيه غنت قبل اشراقة الفجر

اطل على الدنيا وفي البيت عتمة   على ساكنيه يوم غيبوبة البدر (٢)

زغاليل يكسو جلدها زغب القطا   وحظ سراة الليل في مهمة قفر

على انه دام الموشح خمسة   وما زعزعت ابياته غير الدهر

على بعضنا هفت وحنت اواصر   على رغم ما في الطفل من لعب الفر

يقوي ضعاف الريش عطف خؤولة   به تتقي الافراخ غائلة الغدر (٣)

بيوم ينام الفرخ فيه مضعضعا   اذا لم يوسد بين اجنحة النسر

واذكر اذ آن القدوم الى العشا   واولادها لاهون بالكر والفر

اميما تنادينا وما اعذب الندا   تعيد صداه نغمة النهر والقمري

سراعا ترامينا الى حضن امنا   عصافير قد آوت الى جنة الزهر

نفى ثغرها البسام وحشة والد   تراءى لنا الخلاق في بسمة الثغر

تجلى بها من قمة « الشيخ » وجهه   وفي تلكم الرؤيا منى الروح والفكر (٤)

وكنا وكنا كيف انسى زمانها   ومن ... المضياف ساقية تجري

..... لا يعرف الخبث ...   اذا سال السمار عن ......

. . . . تجمع حولها   صبايا وفتيان من الاسر الغر

تدور علينا بالادام زهية   تفرد لحن الناصرية والبر

وما البر الا بالاميم ووالد   هما مصدر الالهام والمجد والفخر

لئن تنهل الندمان ... سر من   اذا ذكرا ـ فاحا معبقة السر

أعدها وديع الروح فهي وديعة   بسر امين العهد في نهجتي تسري(٥)

وهبت اعاصير الهروب بمحنة   اثارت لظاها فطرة الطبع للشر

فسارت بواقينا الى عالم غدا   لخمستنا في مهجر موئل العمر

لام ثوت في غرب تكسس وبعلها   باظلال مار الياس في حرم القبر

صلاة السما والانبياء وخمسة   تجاوب اصداها الى ساعة النشر

لتسق ثرى بيتي سحائب طالما   رشفن قديما ثغر عنقوده العطري

ترى ايسمعان القلب مني خافقا ؟   بحبهما والذكر ينشده شعري

(١) الصدر اسم موقع في راشيا حيث بيتنا. (٢) وفاة والدنا ١٩٠٢ وقد كنت غائبا في المدرسة الانجيلية في دمشق . (٣) اشارة الى الحب الالهي الذي تلقيته واخوتي من المرحوم خالي ناصيف شاهين الدعاس وقد تحوطنا بعناية سموية . (٤) جبل التجلي حرمون هو جبل الشيخ . (٥) زهية ووديع ووديعة وامين اخوة الشاعر .

هوستن ـ تكساس   سليمان داود

لحظات مع الشعر والشعراء

بقلم سالم علوان الجلبي

* * *

عمـر الخيـام

شهرة طبقت الآفاق مشرقا ومغربا . وشعر عالـج اهـم قضايا الانسان الروحية ، وكان مضربه اشد الاوتار فـي النفوس حساسية . ورجـل ولا كالرجـال ، فالامـام والحكيم والدستور والفيلسوف وحجة الحق ، كانت من القابه . وشغله الشاغل كان الرياضيات والفلك والفلسفة والهندسة . والطب كان بعض اعماله وان لـم يتخـذه مهنة ، ولو انه عالج السلطان « سنجر » السلجوقي الذي اصيب في صباه بالجدري . واللغـة والتواريخ والفقـه كانت بعض علمه .

في هذا الرجل كثر الجدل والخلاف ، فقد اختلفوا حتى في محل ولادته . فمنهم من قال : انـه ولـد في « نيسابور » عاصمة خراسان . ومن قال : انه ولـد في قرية « شمشاد » من اعمال « بلخ » ومنهم من قال : انه ولد في قرية « بسنك » من اعمال « استراباد » .

واختلفوا في تاريخ مولده اختلافا بينا يتراوح شكـا ويقينا بين عامي (١٠٢٥ و ١٠٥٠ م) .

ولرفعة مقامه وعلو شأنه كثر في الماضي الجدل في معتقده حسدا وشنآنا ، فقيل : كافـر ملحـد . وقيل : فاجر متهتك زنديق . وقيل للرد : بـل كان مسلما مؤمنا . ولكنه رد على كل ذلك ردا حازما حاسما بقوله : (لكل طائفة ظن في ، اما انـا فملك نفسي اكون كما اريد) .

واختلف المتأخرون في نسبه فمنهم من يقول : انـه فارسي الاصل ابا عن جد . ومنهم من يرجع بنسبه إلى العرب متخذا حجته من لقبـه « الخيام او الخيامـي » وكونه لحق والده من صناعة الخيام الشائعة فـي شبـه الجزيرة العربية . وهو رأي بالطبع شديد الافتقار الـى قوة السند .

وتضاربت الاقوال في مصدر آرائه وافكاره ، فقائل يقول ، ان لزوميات المعري هي النبع في الاساس لرباعيات الخيام ، وان الخيام كان قد تتلمذ على شيخ المعرة فـي افكاره وآرائه ومبادئه . وآخر يقول في رده : ان كـان الامر كذلك ، فلم لا يكون الخيام قد افـاد مثلا مـن « جمهورية افلاطون » وقد كانت فلسفة اليونان في عهـد الخيام منقولة الى العربية متداولة بين قرائها .

ولكنني ارى : ان ليس في رباعيات الخيام ما يمكن ان يكون قد اخذه عن هذا او ذاك رأيا ومبدأ ، مـا دام الخيام هو من هو علما وحصافة وسعة افـق ورجاحة حجة . وما الغرابة في كون افكاره وآرائه ومبادئه اصيلة، وهو القائل : « اللهم اني اعرفك على مبلغ امكاني فاغفـر لي ، فان معرفتي اياك وسيلتي اليك » . والكون ، بعـد ذلك ، كتاب مكشوفة صفحاته لمن كان يملك بصرا وبصيرة قادرين على استيعاب وتدبر ما يقرأ فيها ، وقـد تتفق الآراء ، بعد ذلك ، ــ دون ما سرقة ــ وقد تختلف .

ذلك هو ، ابو الفتح غياث الدين بن ابراهيم الخيام الذي ولد على قول بعض الروايات حوالي سنـة ٤٣٣ هـ (١٠٤٠) م وتوفي حوالي سنـة ٥١٧ هـ (١١٢٣) م . ودفن بمقبرة الحيرة في « نيسابور » التي كانت على كـل حال موطنه وموطن اهله ، واليها كان ينسب .

هذا عن الشاعر ... اما عن الشعر : يقول احمـد رامي في ترجمته رباعية الخيام :

زخارف الدنيـا اساس الالـم
وطالب الدنيـا نديـم النـدم
فكن خلـي البـال مـن امرهـا
فكـل مـا فيهـا شقـاء وهـم

كن خلي البال من امر الدنيا ، نصيحة ما اغلاها ، فهي ثمينة قيمة دون شك ، ولكن هل اصاب قائلها هنـا الحقيقة في كبدها ؟ كما يقولون . ربما خامرنا الشك في ذلك ، فخلو البال اطلاقا ، ريح لا يمكن القبض عليهـا ، والا فاي عاقل حساس في هذه الدنيا « الدنية » كمـا يصفها الامام علي ، يمكن ان يكون خلي البال ؟! واذا امكن ان يكون امرؤ ما خلي البال من امر الدنيا ، فهل يتركـه ابناؤها ــ الذين هو مجبر على العيش معهم دائمـا ــ ان يكون ؟ والناس اصل شقاء الناس . يقول عبـد الرحمن بن حسان بن ثابت :

وان الذي يمسي ويصبح سالمـا   من الناس ، الا ما جنى ، لسعيد

هذا عن خلو البال اطلاقا ، اما عن خلـو البال مـن امر الدنيا لكونها « كل مـا فيها شقاء وهم » فهنا امران متناقضان لدى الواقع تمام التناقض ، والا فاي شقـي مهموم يمكن ان يكون خلي البال ، الا ان يكون مجنونـا ؟! والشقاء والهم هما نفساهما كدر الخاطر في الاساس . ثم ان خلو البال ليس بالامر الهين الـى درجـة ان تضغط ، متى تشاء ، على زر من الازرار فيكون .

والذي اراه ، وقد لا اكـون مصيبا : ان فلسفـة الخيام في الاصل ترتكز على ان الحياة مع التفكير فيهـا ، شقاء . ويجملها في قوله :

نهاية الدنيا فنـاء فعش   فيها طليقا واعتبرها عـدم

وهي نفس فلسفة المعري التي يجملها في قوله :

تعب كلهـا الحياة فما اع   جب الا من راغب في ازدياد

ولكن الاختلاف واضح بين نظرتـي الرجلين الـى

عاليه

كل شيء ها هنا ضاع تقضى .. وتغير
وامحى ما كان بالامس من الايام اكبر
سكرة العصفور في الروض اذا ما الصبح اسفر
وارتعاش الزهرة النشوى عليها الطل نور
ونديف الثلج في « عاليه » هونا يتحدر
وانا احضن عينيك بروحي يا حبيبي

وطريق طرز الثلج وقد سرنا اخضراره
وعليه خلع الجدول من شوق عذاره
ومضى يرقص نشوان وقد حل ازاره
وخلا الدرب فما من سائر ضل مزاره
غير أنا لم نزل ننشد هاتيك المغارة
وطريقي راقد ما بين جفنيك حبيبي

رب كهف دافيء ياسر في الحسن النفوسا
قد اتيناه نروم النار كم كنا مجوسا
كم تساقينا به من خمرة الانس كؤوسا
وأدرنا بيننا من كرم لبنان أنيسا

ويمر اليوم لا نعلم كم كنا جلوسا
لم نعد نبصر لا نسمع الا يا حبيبي

كم غنمنا غفلة الدهر ولهو الحادثات
فاختطفنا من يد الايام اشهى النفحات
وجنينا كل دان واطرحنا كل آت
وسقينا مزهر الاحلام احلى النغمات
سوف لن يبقى سوى الليل وهمس الذكريات
وبقايا اغنيات غالها البعد حبيبي

ايه « عاليه » ايا وجها من الخلد جميلا
صبحك الفتان قد بات بعيني اصيلا
لم يعد كاسك يروي بين جنبي غليلا
كلما ايقنت أني مزمع عنك الرحيلا
كيف لي أن أهجر الروض واشتاق الطلولا
ورياضي بين خديك على البعد حبيبي

الكويت — خليفة الوقيان

التغلب على هذا الشقاء المتعب الذي كان احد المحبسين هو الطريق الوحيدة التي يراها « المعري » مؤدية اليه ، حين يرى « الخيام » الانسجام مع سير الامور بقلب متفتح لمباهج الحياة ، هي الطريق الاصلح .

واری ان « ابا ماضي » كان ناظرا الى هذه النبعة « الطربة » دائما ، في قصيدته التي مطلعها :

أيهذا الشاكي وما بك داء ... كيف تغدو اذا غدوت عليلا

والتي يقول فيها :

هو عبء على الحياة ثقيل ... من يظن الحياة عبئا ثقيلا
فتمتع بالصبح ما دمت فيه ... لا تخف ان يزول حتى يزولا

ومن هنا كان يمكن ان تكون هذه الرباعية الخيامية، مع الحفاظ على اطار رامي ، على الوجه الآتي :

زخارف الدنيا اساس الالم
وطالب الدنيا نديم الندم
فكن خلي البال من امرها
الا اللذاذات والا النعم

والمعري نفسه كان يمكن ان يتبع الطريق الثانية لولا المأساة التي اسلمته الى اليأس ، الا تراه يقول : « احب الدنيا كأنها تحبني ، والغريزة عن الرشد تذبني. احب الدنيا وآلتها ليست في . وقد يئست من بلوغها ، واليأس مريح . فالام التشوف والضلال ؟ » . ويقول المعري كذلك :

شقينا بدنيانا على طول ودها ... فدونك مارسها حياتك واشقها
ولا تبدين الزهد فيها فكلنا ... شهيد بان القلب يضمر عشقها

بقي شيء اخير لا بد من اخذه بعين الاعتبار وهو : هل حق ، ان الحياة كلها شقاء وهم ؟ وهي تخلو خلوا تاما من ابة لحظة من لحظات السعادة والبهجة والمتعة !! امر ، ان كان واقعا حتميا ، تكن الدنيا حقا ، لا تستأهل ان تعاش حتى ليوم واحد ... فهل هي في الحق كذلك ؟ هذه هي الغمرة التي غرق فيها رجال الفلسفة منذ القدم ولا يزالون .

البصرة ـ عراق — سالم علوان الجلبي

أأنت تعرف السبب الذي حملنا على ان نتبناه ؟.. ولا انا . فقد كان ابوه حيا يرزق ، زعامته مبسوطة على ابناء جنسه ، لا يخالفون له اشارة ولا يعصون امرا . وكانت امه قوية رشيقة ، لا ينقضي عليها يوم دون ان تزور صواحبها ، وتعود الى البيت ساعة تشاء . وكان له اخوة صغار وكبار حسبوا المنازل - جميع المنازل - بعض ممتلكاتهم، فاتخذوا السطوح ملاعب لهم ، فهم ينتقلون من سطح الى سطح دون ان يحفلوا باحتجاج اصحابها .

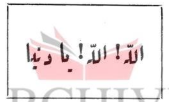
ولم تكن هيئته من الجمال بحيث تستر عي الانتباه ، فله عينان صغيرتان مدورتان تشبهان الدراكل التي يلهو بها الاطفال ، وله رأس مربع ، لو وضع في علبة لما ترك في جوانبها الا فسحة صغيرة لمرور الهواء ، وكانت مشيته بطيئة كأن خطواته جواهر يمن بها على الانسانية ، فهو يزور كل واحدة ، ويأسف لاضطراره الى ارسالها .

ولكننا على الرغم من كل ذلك ، تبنيناه ، او بعبارة اصح : جئنا به الى الدار التي نسكنها ، واعددنا له مكانا فيها ، واظهرنا له حنانا يمكن توزيعه على عدة اطفال .

والغريب ان امه لم تعبأ بغيابه ، ولم تسأل عنه ، وكان شريك حياتها اقل اهتماما بالامر .

هذا هو الهر الصغير الذي طلبناه من جارنا ، فقدمه لنا . ولم تكن غايتنا من تربيته ان يصطاد الفئران، فلا فئران عندنا . اقول ذلك لا زهوا بل جلاء للحقيقة ، فنحن لم نرتبط بعد بهذه القيود التي يسمونها عقود الزواج، ومن البديهي ان يكون اكلنا ، غالب الاحيان ، خارج الدار ، وان اكلنا فيها لداع جوهري اجرينا الحسابات ، واقمنا المقابلات وعايرنا جوعنا بالاكل الذي نطبخ ، فلا يزيد فضلة من الطبيخ، مهما قلت ولا كسرة من الخبز ، مهما صغرت ، فاذا زاد شيء من هذا او ذاك ، التهمناه مهما جر وراءه من الضرر ، ونحن نردد « مزمزون في الدنيا ، مطبلون في الآخرة » ومن كانت هذه حالتهم فكيف تعيش الجرذان في دورهم ؟

واعود الى الهر ، فاقول ان طراءة عوده لم تكن تبيح له ان يأكل مما نأكل ، فاشترينا له الحليب ، ولكن مل منه بعد اسبوع ، وبات ينظر الينا نظرة العتاب حين يرانا امسكنا آنية الحليب . وتشاورنا في القضية - نحن والجيران - فقررنا ان نرفع رتبته اذ لم يعد طفلا ، وقال لنا احد الحاضرين - وهو يفهم جيدا لغة الحيوانات - ان الذ ما يستلذ به الهر هو لحم العصافير « غير البائت » ، فاتفقنا وفريقا من



بقلم الياس قنصل

الصيادين على ان يقدموا لنا كل يوم عصفورا او عصفورين .

واخذ ذلك السنور يشب ، وكان يكبر جسمه على مرأى العين ، وكنا نقيس طوله في المساء من قمة رأسه الى طرف ذنبه ، ثم نعود الى هذا القياس في الصباح التالي ، فاذا هو قد طال ما يعادل اصبعا او اصبعين واتينا بماسك دفاتر بارع فحسب لنا كم يكون طوله وعرضه - بالنسبة السابقة - بعد سنة ، فاعمل الرجل ذكاءه وجمع وقسم وضرب وطرح



ثم اكد لنا بعد عملياته ، ان طول ذلك الهر ، بعد عام ، سيكون ثلاثة امتار او اربعة او خمسة ، ففرحنا، ولا نلام اذا فرحنا ، لاعجوبة من اعاجيب الزمان ، نحن صنعناها .

وتوالت الايام ، فلم يعد العصفور ولا العصفوران ولا الثلاثة تكفيه ، وكان يبدأ بالمواء بعد الانتهاء منها ، ولو استطاع الكلام لقال « انتم تدعون انكم من العرب الاقحاح ، فما اكذبكم لقد كان العرب يشبعون الضيوف ، وكان واحدهم لا يتورع عن نحر ناقته الوحيدة ليطعم رجلا زاره ، وها انتم لا تقدرون على اشباعي انا ، وانا هر .. »

وخفت ان يفضحنا في عالم القطط ، وان يسقط مقامنا - نحن ابناء آدم عندها - فغدونا نأتي له باللحوم والخضر والفواكه . فيجلس حضرته حولها او حيالها ، فلا تمسح وجهك حتى تكون « الارض قفراء والمزار بعيد » وينتفخ بطنه ، فيصبح كالخابية ، فلا يتمكن من الانتقال من مكانه لثقله ، فنتعاون . ثلاثة او اربعة - على حمله الى فراش القش الذي اعددناه له .

وبلغ مبلغ الهررة ، فتحسنت هيئته تحسنا ظاهرا ، وبدت على حركاته دلائل الخفة والرشاقة ، وطال شارباه وقسا شعرهما . اما اخلاقه ، فكانت رضية منتهى الرضا ، فامسكه من ذنبه وشده اليك فلن يحرك ضدك ساكنا ، وارفعه في الفضاء من اذنيه ، فهو يتأملك باسما ، مدركا انك تريد ملاعبته .

وكانت جلسته المأثورة ان يمد قوائمه الامامية بعد ان يطويهما عند ركبتيه ، وان يبسط قوائمه الخلفية الى الوراء ، ويجعل بطنه على الارض ، ويغمض عينيه او يتظاهر بانه اغمضهما ، وان تبدأ بتسريح شعره بكفك بلطف ، فان سكنت بعد دقائق ، فتح عينيه ، وشجعتك نظراته على المضي في عملك هذا .

لا بد ان يكـون القارىء ، قـد سمع ، بالعـداوة التاريخية بـين الكلاب والهررة ، وعايـن تحفزهما للانقضاض على بعضهما اذا التقيا صدفة او قصدا ، عـلى ان هـذه القاعدة لم تكن تشمل هرنا المذكور ، فسيان لديه اراى كلبا ام رآك ايها القارىء العزيز ، وعدم مبالاته هذه، جعلتني اعتقد انـه كان في ذلك الوقت ، فيلسوفـا ، وفلاسفة الحيوانات كفلاسفـة النـاس ، لا يفرقون بين مخلوق وآخر لانهـم كلهم من حمأ مسنون .

وكان من عادته ان يجلس جلسته تلك ، على باب الدكان ، وهو ساكن لا يتحرك ، ولكم تمنيت ان يتاح لي الاطلاععلى افكاره وهو فيتلك الحالة، ولو بسنة من عمري ، ولكم ناديته باسمه ، وهو على الباب ـ وكـان يعرف اسمه ـ فالتفت الي ، فـان شاهد في يدي شيئا للاكل تـرك مكانه ، وجاء الـي راكضا ، وان كانت يدي فارغة ندم عـلى التفاته الي ولبث موضعه .

ولم ينقض على وجوده عندنـا الا شهر ، حتىكان يعرف سائر مخابيء البيت ، وكان كل اسبوع ، يغـير المكان الذي يقيم فيه شأنه في ذلك كالسلطان عبد الحميد الذي كـان ينام كل ليلة في مخدع مـن مخادع يلدز خوفا من ان يغتالـه مراقب . ولم يكن من الصعب علينا ان نسحبه من مخبئه ، فلم يكـن علينا الا ان نأتي بسكينتين ، ونشحذهما علـى بعضهما فيحدثـان الضجة التـي يحدثها القصاب وهو يجرد اللحـم عن العظم .

وكثيرا ما جربنا ان نتغافل عـن ايوائه في احدى الغرف ، في الليل ، فكان يذكرنـا بوجوده بموائـه المتواصل . وقد تركناه ليلة، عمدا، في الخارج ليعتاد على عراك الحياة فاذا بأنين يفتت الاكباد ، بعد نصف الليل ، وصراخ هو صراخ الاستنجاد ففتحنا الباب ، واشعلنـا الضوء فرأينا المسكين يدخل مسرعا ، وقد بدا على احدى عينيه اثـر ضربـة عنيفة ، لا بد ان تكون من براثن من هو اقوى منه ، فاشفقنا عليـه ، واعتنينا به الى ان ادرك الشفاء .

وكان يحببه الي انه يستفيق ، حالما استفيق انـا ، في الصباح الباكر ، فيرافقني الـى المطبخ ، ويشرع في التحديق الـي ، فاعرف انه يريد الاكل ، فافتش له عمـا يأكل ، واقدمه اليه ، فينتهي منه ، ويجلس بين قدمي ، وقد لف بعضه على بعض ، فان حاولت ان آخـذه معي في نزهة صباحية ، ابـى ان يرافقني ، وفضل ان يظل في البيت كناسك يبتعد من رؤية الناس .

وفجاة تغيرت اخلاقه كل التغيير فاصبح لا يطيق ان يلاعبه احد .

وبات يتغيب عـن البيت ساعات طويلة في النهار ، فاذا جـاء الليل رفض ان يأوى الى مكانه في الغرفة وبقي خارجها وضعفت قابلية الاكل عنده ، فغدا يكتفي ببعض ما نقدمه له ، وبدا الهزال عليه ، وترك مكانه المختار في باب الدكان ، ولم يعـد لصوت السكين ذلـك السحر في سمعه . واذا ناديناه باسمه لـم يلتفت الينا ، فان الححنا بالنـداء تأملنا وعلى وجهه سمات العتـاب الصريح على ازعاجه .

وحسبنا للامر الف حساب .

ماذا اصاب المسكين ؟

ابلغه نبأ عن موت احـد اقاربه ؟ كلا ، انه منقطع عن زيارتهم ، وهم يقابلونه بالمثل .

ايخشى ان لا يدوم هـذا النعيم الذي هو فيه ؟ كلا ، انه واثق اننـا لن نندم على الاهتمام به .

وخشينا ، بدورنا ، ان يشاهده الناس ، ـ ومنهم من هم من جمعية الرفق بالحيوان ـ وهو على ما هـو عليه من الضعف ، فيكون من ذلـك ما لا ينفع بعده الندم . واذا مـات عندنا ؟ الا يكـن دمـه في رقابنا ؟ والدم ثقيل كما يقول العامة فاخذناه الى طبيب ، وعرضنـاه عليـه ، ففحصه باعتنـاء ، وراح ـ ككل طبيب عصري ـ يسأل عن البيئة التي يعيش فيها ، ويستفسر عما اذا كان احد مـن اسلافه ـ اسلاف الهر ـ قد اصابه داء ، فاجبنـاه قدر ما نعرف ، فزم ما بين عينيه، واعلن رأيـه وخلاصته ان القـط لا يشكو مرضـا مـن الامراض الحسية ، فقلبه « صاغ » وضغط الدم معتدل ، واعصابه عاديـة ، فحملناه من جديد ، وعدنا بـه الى الدار وقد قررنا ان نتركه الـى ان يرجع من تلقاء نفسه الى ما كان عليه من المرح السابق .

وانقضت الاسابيع .

وكنت في ليلة نائما مـلء عيني ، فايقظتني حركة متواصلة في فسحة الدار ، فانصت .

وظلت الحركة تتحرك .

اأترك الفراش ، وانهض ؟

لا شك ان هنـاك لصا يحـاول الهرب بعد ان سرق ما سرق .

غير اني ابعدت عن خاطري هـذا الخاطر ، وانا اقول لنفسي :

لن يكون اللصوص عديمي الذوق الى درجة يسطون فيهـا علـي ، ويتركون اصحاب الاموال الضخمة سالمين من زيارتهم .

وقالت لي نفسي :

ـ ولكن هؤلاء الاغنياء يحافظون على اموالهم كل المحافظة ، ولكـل واحد منهم صندوقة مـن الحديد المصفح لا يزحزحها مائـة مثلك ، واقفالها ذات اسرار يعجز عن حلها الراسخون في العلم ، ناهيك عـن ان جدران منازلهم محاطـة بالموجات الكهربائية فمن يقطعها ؟ اما انت ، فاين انت من كل ذلك ؟ انهض مـن سريرك واقبض على هذا اللص الذي يحاول سرقتك ، وسلمه الى دائرة الشرطة . انهض حـالا ، فستنشر الصحف غدا صورتك ، وتقدمـك مثلا للجراة ، ومن يدري ؟ لعل دائرة البوليس بعـد ان تشاهد مـا فعلته

كن جميلاً

الفخر بالعلم لا جمع الملايين   وحكمة الدين فيها جوهر الدين

مالئك الناس من عاش السلام بهم   وجذوة الحرب من صنع الشياطين

وعاقل القوم خير الصنع ساد به   سبل الهداية او عون المساكين

وقيمة المرء ما يسديه من خدم   الناس ، للعلم ، في شتى الميادين

فالناس تكرم اهل الفضل يدفعهم   حب الفضيلة او اسعاف مسكين

وليس يرفعهم في رفعهم نصبا   ولا يعظمهم منح النياشين

ولا بمشتغل في حقل اوسمة   يسعى ومسلكه بالغين والشين

فلا يمثل شعبا من به عوج   او من تحدر من سبط السعادين

حب التظاهر اعمى كل باصرة   واصبح الحب في ايدي المجانين

اجل من منحوا بالعدل اوسمة   بالعلم بالعقل او دفع الملايين

او كان حامله شاعت مآثره   والله البسه برد الميامين

لا يرفع الثوب من اندار لابسه   وليس البوم اصوات الحساسين

فصانع الخير مشكور بفعلته   وزارع الشر مرذول كقايين

والاصل كالطيب معوان اصاحبه   تلك الارومة تجري في الشرايين

فالفضل شيمة من في اصلهم شمم   والشر والضر من طبع الثعابين

فاخطب صداقة من طابت منابتهم   وانشق شمائل من ورد ونسرين

ان الحياة جمال النفس زينها   والحب كملها بالعطف واللين

فكن جميلا محبا صادقا ابدا   فالحب فيه جمال الله والدين

سان بولو ــ البرازيل

فيليب لطف الله
رئيس جامعة القلم

تعرض عليك وظيفة عالية ، فتؤمن هكذا على مستقبلك ، وتمهد لاولادك الطريق ــ طريق النجاح في الحياة ــ ولا تنس ان للوظيفة المذكورة تقاعدا ، فلا تصل الى ابواب الشيخوخة حتى يكون راتبك محفوظا ، فتترك العمل وتنصرف الى اتحاف القراء بادبك الرفيع ، او تشتري لك بستانا وتعتني به ، الا تحب الزراعة ، او تقضي بقية ايامك هانئا بلا عمل ، انهض ، انهض .

واقنعتني نفسي ، فنهضت بهدوء ، ولبست الثياب التي لا تمتنعني من الركض وراء اللص ، ومشيت الى الخزانة ، فاخرجت منها المسدس ، وكان الصدأ قد علاه ، وتوجهت الى حيث الحركة بخفة .

وكان القمر يرسل انواره الى الارض كانه فانوس توجهه يد الرحمن الى فسحة الدار لتريني مكان اللص .

ولكن .. لم يكن هناك لا لص ولا من يحزنون .

بل كان .. الهر ــ هرنا ــ .

ولم يكن وحده بل كانت الى جانبه هرة بيضاء جميلة ، تبدو عليها مظاهر الترف .

وكانت ترنو الى هرنا رنوة الحب . وكان هرنا يوجه اليها نظرات لا تفرق شيئا عن نظرات العشاق في الروايات السينمائية .

اذن ... هذا التغيير اذى اصاب المسكين هو نتيجة هيامه بهذه الهرة ؟

ولم اشأ ان اعكر عليهما صفاءهما ، فعدت الى سريري .

واستفقت في الليلة التالية على الحركة ذاتها ، فدفعني الفضول الى مراقبتهما . فاذا هو قد دعاها الى الطعام ، وكنا في ذلك النهار ــ على خلاف عادتنا ــ قد طرحنا فضلات عديدة من الاكل في صندوق القمامات . واتاها بقطعة من اللحم ووضعها امامها ، فابتسمت له شاكرة من صميم فؤادها ، وكانت تقطع منها لقمة ، وتتركها امامه ، فيفعل هو مثلها .

وتفقدناه في يوم ، فلم نجده ، فدعونا له بالنجاح التام ، ونسيناه .

ودارت الارض دورة طويلة يسمونها سنة ، ودعتني سيدة نبيلة الى زيارتها ، ففعلت . وما اشد ما كان عجبي حين رأيت الهرة البيضاء هناك ، وما هي الا هنيهة حتى جاء زوجها ــ زوج الهرة لا زوج السيدة ــ فاذا هو هرنا .

وعرفني في الحال ، بيد انه خاف ان ارجع به الى دارنا ، وهو يعيش الآن في منزل ارستقراطي ، فالسجاد هنا يملأ الارض ، وليس عندنا نحن الا الحصير القش ، فعاد ادراجه مسرعا بعد ان حدجني بنظرة تحد وامتهان .

فقلت في نفسي :

ــ الله ، الله يا دنيا حتى الحيوانات يغشي الغرام على عينيها ؟ حتى الحيوانات تبطرها حداثة النعمة ؟

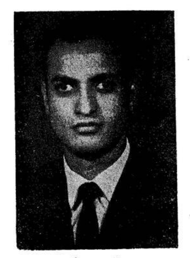
فقالت لي صاحبة الدار :

ــ مالك تهز راسك ؟

فاجبتها :

ــ .....

عاصمة الارجنتين   الياس قنصل



حسني سيد لبيب

حرب اكتوبر وانعكاسها على الادب

بقلم حسني سيد لبيب

* * *

في السادس من اكتوبر المجيد ، سطر التاريخ صفحة مجيدة للبعث العربي الذي ابى التردي في مهاوي اليأس . حيث انطلق المقاتل العربي كالمارد يحطم اغلال الخوف . وكانت صحوة المقاتل العربي – بل صحوة الشعب العربي – تتويجا للسنوات الست العجاف التي عاشها وطننا صامدا امام عدوه الذي يحاربه نفسيا واعلاميا ، حتى بات العرب يصدقون ما يقال عنهم ، فاهتزت ثقتهم بقدراتهم على الفعل ، وهي مفتاح كل تقدم حضاري .

لقد نالت هزيمة الخامس من يونيو من قدرتنا على الفعل الايجابي ، واخذنا نعيد تقييم انفسنا وتجسيم عيوبنا ، وقد بالغنا في ذلك . وبقدر ما يكون مفيدا ابراز العيوب ومعرفتها ، الا ان الاغراق في ذلك قد يؤدي الى فقد الثقة بالنفس ، لا سيما اذا اقتصرنا على النقد المرير المستمر دون الاستفادة منه في فعل ايجابي يعمل على تغيير هذه الحالة النفسية . وكانت تلك الحال خطوة ثقيلة في طريق اليأس ، ولا ينكر احد اننا في احيان كثيرة كنا نعاني التأزم النفسي ، وبات المثقفون – وهم شريحة من شرائح المجتمع ، بقدر ما يؤثرون في الفكر العربي ، فهم متأثرون بالتأزم النفسي – بات المثقفون يعبرون عن التمزق الفكري والتخلف الحضاري ، في اعمال ادبية تفتقد – في بعض الاحيان – الرؤية الصحيحة ، وترتمي – في احيان اخرى – في احضان اليأس والتشاؤم . وكان تقييمنا لهذه الاعمال ، هو مزيد من تسليط الاضواء على الحالة النفسية التي كانت نتيجة مباشرة لهزيمة يونيو ١٩٦٧ .

وشارك المسرح بمسرحيات تتسم بالخطابة وافاقة النيام ، باسلوب مباشر يفتقد الحبكة المسرحية احيانا ، ويتسرع في نمو الشخصية احيانا اخرى . كما لجأت بعض الاعمال الى الرمز ، لكنه لا ينتمي الى الرمزية بمعناها الفني الايحائي ، فقد اكتفت هذه الاعمال بالرمز لتمثيل ادوار لشخصيات تعيش في واقعنا السياسي ، حتى انني واصدقائي كانت تستهوينا دائما الكشف عن صاحب الشخصية في واقع حياتنا !. مثال ذلك ما قدمه المسرح في مسرحية « المسامير » (١) لسعد الدين وهبة ، وكوميديا اوديب « انت اللي قتلت الوحش » لعلي سالم .

في غضون السنوات الست ١٩٦٧ – ١٩٧٣ لم نحاول انماء الفكر العربي او تقييمه، ولم نحاول ابراز الشخصية العربية الصامدة ، وصولا الى مستقبل يستطيع الانسان العربي صياغته في صورة جديدة مشرقة . لكننا شاركنا في اشاعة اليأس ، ولم تكن هزيمة ١٩٦٧ الا مشجبا نعلق عليه كل اخطائنا . فكما يستنفر النصر الامة على مواصلة السير في طريقها ، كذلك الهزيمة ، بل اكاد اقول ، ان الهزيمة هي البداية الحقيقية لميلاد الامة ، اذا وعت درس الهزيمة واستخلصت منه ما تراه مفيدا للنهوض من كبوتها . على اية حال ، فليس علينا الا ان نقر ما كان ، فقد عجزت الهزيمة ان تبعث في عقل الفكر العربي شيئا جميلا ، او تدفعه الى التفكير الهادىء . وكان الاصدقاء والاعداء على السواء ، لا يصدقون اننا سوف ننهض من كبوتنا ، ونواصل السير الحثيث في الطريق الشاقة باباء وشرف . وكنا نحن اكثر الناس تشاؤما ، فاكثرنا من تبكيت النفس ، وتجسيم العيب .

وفي الوجه المقابل لذلك ، كنا ننبش فكر العالم بحثا عن الحقيقة ، وبدانا نقرأ ما يكتبه العدو ، وكان هذا الانفتاح نافذة ثقافية جديدة فتحتها لنا الهزيمة . وارتفعت اصوات تنادي بالانفتاح على كل المذاهب الفكرية ، وتنادي بأن يعرف الانسان العربي كل ما يكتب عنه . وكان الانفتاح الثقافي – برغم انه انفتاح محدود – الا انه اعطانا قدرا من الفهم لمعايير كثيرة من وجهة نظر اخرى غريبة علينا . وبعد ان كنا نلهث وراء شعارات محدودة بأصحابها ، اصبحنا نجوب الآفاق والدروب وفي يدنا مصباح ديوجين باحثين عن الحقيقة .

١ – احب ان انوه هنا بالدور الخالد الذي قامت به الممثلة العظيمة « سميحة ايوب » ، وكأنها قلب مصر النابض يستنهض الهمم، ويستنفرها الى النضال .

وقد شدني كتاب « ممنوع من التداول » للاستاذ محمود عوض . ومنذ اول صفحة وددت لو اقفز الى سطور الختام واستوعب كل ما في الكتاب في لحظة خاطفة !. ذلك اني وددت ان اعرف وجهة النظر الاسرائيلية في حرب الايام الستة كما يسمونها . والكتاب يعرض ملخصات لبعض الكتب الاسرائيلية عن هذه الحرب وعن تكوين الجيش الاسرائيلي . وهذه الكتب ممنوعة من التداول في البلاد العربية . وقد لخص الاستاذ محمود عوض هذه الكتب ، ولا شك انه في هذه العجالة قد اغفل الكثير . لكنه سد نقصا شديدا في فهمنا لعقلية العدو الذي نواجهه . وقد استخلصت من قراءتي لوجهة النظر الاسرائيلية عدة حقائق هي :

ـ اوقع الاعلام الانسان العربي في اوهام اضرته ضررا بالغا . فالمبالغة في تقدير التفوق العسكري لاسرائيل قد رسخ في الاذهان التي ترجمته الى ان قوتنا العسكرية غير قادرة على الصمود امام تسليح اسرائيل « المتفوق دائما على العرب ! » . كما ترديبنا في اكاذيب ـ اثناء حرب يونيو ـ عن سير المعارك .. حتى ان مروجي هذه الاكاذيب ، وقعوا في اسرها وصدقوها !. كما وضعنا مساندة امريكا لاسرائيل كحجر عثرة امام ارادة الامة العربية في صنع النصر .

ـ وكان يمكن للانسان العربي ان يعرف اين يضع قدميه ، لو عرف الحقيقة كاملة عن العقلية الاسرائيلية . فاغلاق الباب امام الفكر الاسرائيلي ، يعوق الفكر العربي في ان يواجه الموقف بوضوح ، مما جعل المثقفون العرب يترددون في اوهام حول اسرائيل !.

ـ وقد اعلنا الحرب على اسرائيل اعلانا كلاميا ، دون فعل يؤازر الكلمة ويعطيها قيمتها الحقيقية . وكان هذا احد اسباب هزيمة ١٩٦٧ .

ـ وقد استطاعت اسرائيل ان تغتصب اراض جديدة عام ١٩٦٧ ، لا سيما وان العرب كانوا في اسوأ حالاتهم ، وفي مصر حدثت كارثة الطيران ، والتباس الاوامر العسكرية الصادرة الى القادة وما الى ذلك مما يعرفه العسكريون .

هذه بعض الحقائق التي استخلصتها من الكتاب . وهنالك حقيقة اخرى اهم من ذلك بكثير ، وهي ان الارادة العربية ، برغم كل شيء ، لم تنتكس ، ولم تقهر ، وان القدرة العربية على التحرك للمواجهة الشاملة ما زالت كامنة .

لم استشعر من قراءتي لهذا الكتاب بتفوق اسرائيل ، او بقدرات خارقة للجيش كما شاع بين الجماهير العربية !. وانما شعرت ان العدو ضربنا في اماكن ضعفنا ، واننا نحن اصل الداء ، وما صنع اسرائيل واعطاها القوة سوى التمزق العربي !.

واحسب اننا قد بدانا نفيق من هذا الكابوس المخيف ، كابوس الجهل بالعدو ، والتشكك في قدراتنا .. واصبح لزاما علينا ان نضع الارادة العربية موضع اختبار لمدى صلابتها وتأثيرها . وقد لوحظت في الآونة الاخيرة نزعة جديدة تستهدف التفكير العلمي المنظم ، والبعد عن المبالغة والتهويل ، وتنقية الجو العربي .. وبدأ الاعلام العربي يتحدث بلهجة هادئة متزنة .

وقد تجلت الارادة العربية في السادس من اكتوبر ١٩٧٣ المجيد ، يوم حملنا قدرنا وقررنا مواجهة العدو المتعجرف . وانطلق جنود مصر البواسل يعبرون القناة ، واصبح هذا العبور حقا عبورا تاريخيا ، يتجاوز الهزيمة .. ويصنع النصر .. عبورا عبر جسور الامل التي انتشلتنا من هوة اليأس . وفي الجولان اندلعت الشرارة تبشر بالنصر .

وبعد حرب اكتوبر ، جاء دور المثقفين . واصبح الالتزام بشعار « اعرف عدوك » امرا واجبا ، واقصد بهذه المعرفة كل معرفة جادة وموضوعية تبرز ايجابيات العدو وسلبياته . انه التزام موضوعي، بعيد عن الهوى. والتفكير الموضوعي الهادىء ـ حتى في اتون المعركة الملتهب ـ هو وحده القادر على صقل العقل العربي ، وتفتح مداركه نحو آفاق الغد المشرق .

وفي غضون اكتوبر المجيد ، كنت احدث نفسي كثيرا عن دور الاديب في المعركة . وادركت ان هذا الدور ليس وليد احداث الساعة ، ولكنه الدور الذي يلتزمه الاديب منذ حرب ١٩٦٧ ، بل يتجاوز هذا التاريخ ، ويمتد في الماضي حتى عام ١٩٤٨ وما قبلها بقليل . لكن الدور يتجدد وتثقل تبعاته ، ويتعمق مفهومه .

بعد هزيمة ١٩٦٧ تمزق الفكر العربي ، وضاع في دروب اليأس وسراديب الكآبة . وحين يستصرخ الكلمات، يلجأ الى الخطابة السياسية ، والشعارات الساذجة . وحين يختار الرمز وصولا الى ايحاء فني ذي سمات خاصة ، يتردى في الغموض او المحاكاة لشخصيات سياسية معاصرة . وكانت هذه أسوأ كارثة فكرية تصيب الادب العربي بسبب هزيمة ١٩٦٧ .

وجاءت الحرب الرابعة لتضمد الجراح وتزيل الآلام او بعضها . ومع الامل الحلو في النصر والتحرير الكامل للارض العربية ، يبرز دور الاديب العربي ، واصبح لزاما عليه ان يخمد النغمة اليائسة التي تمزق القلب وتوجع العقل .

ودور الاديب الآن شائك ومعقد، وسط لهيب معركة بدات ولم تنته ، حيث تكون طلقة مدفع اجدى من آلاف الكلمات . لكن الكلمة الصادقة الواعية تستطيع ايضا ان تكون سلاحا نعزز به اسلحتنا المادية .

ان المقاتل العربي الذي قاتل ببسالة منقطعة النظير، لهو خير مبشر بالارادة العربية ، وخير موقظ لها . وواجب الاديب ان يتلاحم مع صفوف المقاتلين ، ويجعل من الكلمة

نارا تحرق قلب العدو ، ونورا يضيء طريق الانسانية ..
نارا تحرق سراديب الظلم ، ونورا يضيء طريق الحق ..
نارا تبدد ظلمات الليل ، ونورا يبشر بطلائع فجر يوم جديد ..
نارا تدك معاقل اليأس في صدورنا ، ونورا يضيء منابت الامل في قلوبنا ..
نارا تأكل الحقد ، ونورا ينبت سنابل الحب والسلام ..

آن للاديب ان يتلاحم مع صفوف المقاتلين ، مؤكدا صلابة الارادة العربية ، في اطار رسالة الانسانية نحو الخلاص من كل انواع الظلم والقهر والاستعباد ، وفي اطار نزعة الانسان ــ ايا كان منبته او مشربه ــ الى الحب والسلام .

وآن للفكر العربي ان يواصل الانفتاح الثقافي ، وان يفتح كل النوافذ لتكون روافد للفكر العالمي ، نستوعبه ، ونقيمه ، ونعرف اين يقف فكرنا القومي وسط هذه التيارات الفكرية . واين تكون ثقافتنا وسط ثقافات العالم . واحسب اننا قادرون على انماء حضارة عربية جديدة ، اذا ما درسنا جيدا حضارات العالم ، نأخذ منها ونعطي لها .

ولنداب في تأصيل تراثنا الثقافي ، وبدون هذا التراث ستضيع ملامح ثقافتنا العصرية . ولست مع الدكتور فؤاد زكريا الذي كتب في جريدة « الاهرام » يدعو الى انسلاخ الثقافة العربية عن تراثها الذي تنوء بحمله !. ويكاد يمثل حجر عثرة بيننا وبين حضارة العصر ، هكذا قال !. الثقافة العربية القديمة ليست سبب تخلفنا الفكري ، وبالتالي الحضاري ، ان العيب يكمن في عدم مقدرتنا على خلق ثقافة جديدة تكون امتدادا لتراثنا الثقافي ، وتكون عمقا لحاضرنا . ان تراثنا مرآة لتاريخنا ، وحضارة بلا تاريخ ــ اذا شئنا التحضر ــ تصبح مسخا مشوها ، لا تتضح سماته او مقوماته .

علينا ان نأخذ من تراثنا ، ما يفيد في تطوير واقعنا ، وتأصيله ، وعلينا ان نأخذ من ثقافات الامم ما ينفع في تكوين فكرنا العربي وسط متغيرات العصر . ان الالتجاء الى التراث العربي القديم هو التجاء الى الدفء في برد الشتاء القارس ، والانفتاح على ثقافات الشعوب هو بحث عن الهواء المتجدد في حر الصيف الخانق . ونحن في حاجة الى دفء الكلمة العربية ، والى الهواء المتجدد . الدفء يمدنا بالطاقة ، والهواء المتجدد لازم لحياتنا .

وهنالك بعد ثالث ينبغي للاديب العربي الالتزام به، وهو الاحساس بالمعركة ، وبواقعنا النضالي . فالمقاتل العربي بارادته الصلبة يمثل البعد الثالث ، يمثل البعث الجديد الذي يجعل حاضرنا اكثر عطاء ، وهو اليد الحانية التي تنبت في ارضنا بذور الامل . وعلى الاديب العربي ان يستلهم من بطولات المقاتل العربي ، فنه الجديد ، وان يستمد منه عنصر الفعالية في بعث الثقافة العربية وانمائها .

اذا تأملنا دور الاديب العربي وادبه بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، فان هنالك ثلاثة مقومات :

١ ــ التراث العربي القديم ، ويمثل دفء الكلمة العربية .

٢ ــ الانفتاح الثقافي ، ويمثل الهواء المجدد لثقافتنا .

٣ ــ حرب التحرير التي يخوضها المقاتل العربي بسبالة ، وتمثل بعث الارادة العربية .

وفي ضوء هذه المقومات ، يبرز ويتعمق مفهوم الدور الواجب على الاديب ان يؤديه بأمانة ونزاهة وحيدة من جانب ، وباخلاص وارادة صلبة ورؤيا فنية صادقة من جانب آخر .

ولا يغيب عن بال الاديب العربي ان الادب انساني بالدرجة الاولى . وبقدر ما يتعايش الاديب مع الواقع مستلهما منه اصالة الفن ، مراعيا امانة الكلمة ومسؤوليتها .. بقدر ما هو ملتزم بالمستقبل الانساني ، يطل ببصيرته النافذة على المستقبل ، يستقرئه كأنما هو كتاب مفتوح .

انه دور حساس ، لكنه دور يفخر الاديب المبدع بتحمل تبعاته . انه دور مزدوج ، فبينما يشعر الاديب بأهمية ان تكون الكلمة في مستوى حماس المقاتل الى طلب الموت فداء للوطن ، فانه من جانب آخر يشعر بأن هذه الكلمة ايضا يجب ان تكون متطلعة الى آفاق المستقبل ، وموضوعية في منحاها . وتصير الكلمة العربية لدى الاديب نارا تحرق ، ونورا يضيء .. نارا تحرق معاقل اليأس ، ونورا يضيء طريق المستقبل الذي نبتغيه اكثر اشراقا وبهاء . ويا لها من رسالة يفخر الاديب العربي المعاصر بتأديتها !.

القاهرة — حسني سيد لبيب



جميل بركـات

في معـركـة النفـط

بقلم جميل بركـات

***

نشط وزراء النفط العرب في الاتصالات المستمرة مع دول العالم ، وخاصة الدول التي تعتمد في مصادر الطاقة على البترول العربي ، لافهامها ان تخفيض تصدير هـذه المادة الحيوية او زيادته يتوقف على انسحاب اسرائيل من الاراضي العربية التي اغتصبت في عدوان حزيران عـام ١٩٦٧ .

ومن هؤلاء الوزراء الذين اتيح لهم الاتصال اكثر من غيرهم وزير النفط السعودي ووزيـر النفط الجزائري ، فقد كونا وفدا واحدا كان الناطق باسمه بفرنسا الوزيـر الجزائري وفي بريطانيا الوزيـر السعـودي ، وشاءت الصدف ان احظى بتتبع الندوات التي تمت على شاشة التليفزيون البريطاني حيث كان وزير البترول السعودي السيد احمد زكي اليماني في حوار منطقي وهادىء مـع الساسة البريطانيين ورجال الصحافة والاعـلام المهتمين بشؤون الطاقة خاصة البترول .

وفي احدى هذه الندوات خاطب المذيـع التلفزيوني في لندن الشعب البريطاني بقوله ، اتعرف مـن هـو اليماني ؟؟ انه حياتك !

خرجت هذه العبارة من فمه مـع حركات تمثيلية بارعة ، لليد والوجـه واللسان ، بحيث انتقلت لتوهـا لترسخ في عقول الملايين من مشاهدي البرنامج عن طريق اجهزة التلفزيون الملونة وغير الملونـة بأن الشيخ اليمانـي وزير البترول السعودي ، هو حياته ، وقـد انتابنـي شعور غريب في تلك اللحظة وقلت بأن اليماني هو حياتي أنا العربي كذلك مع اختلاف التفسير .

فالبترول لما يدره من خير ودفء وصناعات مختلفة الوانها قد تزيد على المليون صنف ، حصيلتها آلاف آلاف الملايين من الدولارات والعملات الصعبـة والنـادرة ، تجنيها الدول المتقدمة المستوردة له كدول اوروبا وامريكا واليابان ، وعليه يتوقف ازدهارها وقوتهـا ومستقبلها الحضاري ، لا شك انها تتلاشى بدونه وتصبح لا شيء .

فالمذيع البريطاني قد وافقه الحظ واصاب كبـد الحقيقة حين خاطب الشعب البريطاني ، اتعرف من هو اليماني ، انه حياتك !

Do you Know What Yamani means ?
Yamani means your life .

فاذا كان البترول لم يقطع وانمـا خفضت نسبـة انتاجه الى الربع ، وعمل هـذه الضجة المثيرة ، بحيث اضطر المجتمع الامريكي وهو اقـل مستورد لـه اذا مـا قورن بدول اوروبا الغربية واليابان ، بأن يرفع شعارات جديدة ولاول مرة ، كما نشرت مجلة نيوزويك في عددها للاسبوع الماضي ، منها .

« نريد البترول لا اليهود ، لا نستطيـع ان نعيش بلا وقود ولكن يمكن ان نعيش بلا يهود » . حتى ان بعض الشعارات قد ذهبت الى ابعد من هذا ... « احرقـوا اليهود لا البترول ! » هذا وقد ونشرت مجلـة التايمز العالمية بتاريخ ١٠ ديسمبر رسائـل لقرائهـا وجميعها منصبة على ازمة الطاقة كما يطلقون عليهـا ، فمن قائـل بأن نفوذ الملك فيصل لم يقتصر عـلى العربية السعودية وانما تجاوزها الى كل قطر في العالم ، حتـى الولايات المتحدة الامريكية التي لا تستورد سوى ١١٪ من البترول العربي ، قد رفعت الاسعار ، وخفضت الحرارة ، كمـا انها حددت سرعة الآليات بما فيها السيارات ، وهي فـي طريقها لتقنين البترول وتوزيعـه بالبطاقات ، وهـذا بالمقارنة لا يكون الا شيئا بسيطا مع ما اتخذ من اجراءات في اليابان واوروبا .

وآخر يقول « كنتيجة لقطـع البترول العربـي اتضحت الصورة اكثر لمعرفة منطـق الاستعمار الحديث « امبريالزم » » . وثالث يقول « تحية لحكام العالم ــ ملوك البترول العربي ! »

ومما لا ريب فيه فان هذه الرسائل وغيرها ممـا كتب ويكتب من المقالات الطوال ، في كافة صحف العالم عن ازمة الطاقة ، هو قليل من كثير ، عبر عنـه بصدق رئيس الوزراء البريطاني بتصريحه قبل ايام حين اعلن عن تخفيض الكهرباء الـى نسبـة ٤٠٪ واقتصار البث

التلفزيوني الى الساعة العاشرة والنصف مساء ، وان العمل في المتاجر ، والمصانع لثلاثة ايام من كل اسبوع ، كما ان خطوط الجو البريطانية قد الغت نحو ستمائة رحلة للاسبوعين القادمين ، كما ان اصحاب السيارات لن يحصلوا على وقودها « البنزين » الا بالبطاقة وبعد انتظار طويل .

اما في امريكا فقد عالج الرئيس نيكسون بعد اجتماع دام خمس عشرة ساعة مع وزرائه هذا الموضوع بأساليب متنوعة ، منها تقديم الوقت ساعة في النهار ، ولمدة عام كامل ، وبالحسابات بواسطة العقل الالكتروني ، اعلن بان هذا الاجراء سيوفر ٢٪ من الاستهلاك !

ومهما كانت الاجراءات التي تتخذها دول الغرب فان اقتصادها في تدهور مستمر ، بحيث ان معظم المصانع ستتوقف عن العمل ، والبطالة تنتشر ، وان السيارات والآليات ستتحول الى قطع من الحديد الخردة ، وقد ذكر خبير الاستثمارات المالي لبنك لمبرت في بروكسل المستر لونارد لوشيل « من المكن انك لا تستطيع الحصول على عصير التفاح او البرتقال للنقص في قوارير التعبئة البلاستيكية او الزجاجية او نحوها » . وهو في حديثه هذا يعني ان الصناعات متممة لبعضها البعض ، تعتمد الواحدة منها على الاخرى ، فتوقف انتاج بعضها ، يعني توقفها جميعها دون استثناء ، وفي هذا كارثة مفجعة لاقتصاد العالم الغربي بالذات ، فتسلب هذه البلدان ازدهارها وامنها ، وقد تودي بها الحالة الى ثورات جامحة مدمرة بسبب موقفها من عدوان اسرائيل واغتصابها حقوق العرب المشروعة . ومن هذا المنطلق وتمشيا مع حقوق الانسان فان وزراء البترول العربي قاموا بتجوالهم المستمر في اقطار اوروبا وامريكا واليابان لشرح وجهة نظرهم المنطقية لقادة هذه البلدان واعلامهم بان مشاكل العرب مع الصهيونية العالمية ممثلة باسرائيل لا بد من ايجاد حل عادل وسريع لها مع المحافظة على حقوق عرب فلسطين في اراضيهم وممتلكاتهم وديارهم ، وبدون ذلك فان البترول الذي دخل المعركة لا يمكن ان يدحر او يستسلم مهما كانت النتائج .

ولهذا فواجب هذه الدول وشعوبها وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية التي خاطب رئيسها الراحل روزفلت ، الكونغرس الامريكي يوم ٦ يناير عام ١٩٤١ ، بان امريكا دخلت الحرب العالمية الثانية لحماية حقوق الانسان حيثما هو موجود على سطح الكرة الارضية وفقا للمبادىء الاربعة الآتية :

١ ـ حرية الكلام والتعبير للانسان ، في كل مكان من العالم .

٢ ـ حرية العبادة لكل انسان بالطريقة التي يريدها .

٣ ـ حرية النهج الاقتصادي التي تحقق لكل شعب في ارضه كريم المعيشة لابنائه .

٤ ـ حرية التحرر من الخوف عن طريق نزع السلاح وبحيث لا يسمح لاي شعب ان يعتدي على اي شعب آخر في اي مكان من العالم .

ترى ما راي الرئيس نيكسون ، وكان يومئذ ضابطا في البحرية الامريكية ، في مبادىء سلفه الرئيس روزفلت والتي صيغت فيما بعد بوثيقة عالمية سميت وثيقة حقوق الانسان اعترفت بها كافة دول الامم المتحدة واقرتها ، فالعرب لا يطمعون من سيادته باكثر من تحقيق مبادىء هذه الوثيقة ، فها هو ما يسمى بمؤتمر السلام آت ، فهل يحقق هذا المؤتمر السلام ويكبح جماح المعتدي ، وفي هذه الحالة يعود ضخ البترول الى طبيعته الاولى فيعم الازدهار الدول المتقدمة والنامية ، او ان مؤتمر السلام عبارة عن مخدر مؤقت تكون نتيجته لا سمح الله علي وعلى اعدائي ، هذا ما لا يتمناه العرب ، لانهم آمنوا بحقوق الانسان منذ اربعة عشر قرنا وحافظوا عليها ، فاذا اضطروا للقتال دفاعا عن اراضيهم وسيادتهم عليها، فانهم يمتثلون لاوامر الله سبحانه وتعالى « كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم » .

عمان ـ الاردن **جميل بركات**

لاني احب

لأني وقفت أمام الحقيقه
لأني عرفت بأن القتيل
يصدر للطير قمح البراءه
أكـون هواء نميرا
يعبىء صدر الطبيعه
أكون أمام عيون الصغار
مقصا يقلم ظفر الضواري
اذا مار فيها دم الافتراس
أكون اذا مر فصل البراري
غصونا تروي وصال الهناء
انسكاب الحنين بجنح الطيور
تجيش الامومة في صدرها
فتذوي نعاسا عيون المسافه
أكون امام انفلات المساء عليهم
فتيلا وزيتـا
أكون ٠٠٠٠ أكون
لأني أحب صغار بلادي
وكـل الصغـار

حلب **محمود علي السعيد**

غيمة الازهار الربيعية

قل لـي ، يـا صديقي
يـا اعـز صديق !
أي عظمة تكمن في ألم
تجعلنا نتعشق الالم ؟
أي حزن موجع يغلف احساسي
أتمنـى سرمديته ؟
أي قلق يتفنن بحرق دمي
أتشبث بـه ؟
انـا في ضياع ، يا صديقي
لم لا تنجو انت من هذا الضياع ؟
اصبحت أخاف عليك ..
اخاف ان تعتاد اذناي خلجات صوتك
فتصم عن كل صوت
اذا ما احتجبت !
انقلاب هزني من أعماقي
والتقيت المجهول في نوازع نفسي
صراع يهدر في لجة ذاتي
يحتجزني في دوامتي
لا اجيد فيها الا البحث والتفتيش
غير اني لست ادري عم أبحث ؟
عن اشياء غامضة ..
اشياء كانت ولم تعد ..
اشياء تراءت لي يوما ،
ثـم انعدمت ،
عن كوني انسانا يبكي فرحا ،
ويضحك أسى ..
احيانـا يعتريني شعور
يدفعني الى الهرب من كل ما يحيط بي
من ذاتي .. منك ..
من الارض .. من كل شيء
من ثوب البشر الذي ولدت فيه
واموت فيـه ..
من استطراد علامات الاستفهام
فـي خاطري .
كل ما بي ، يا صديقي
انني اتمنى لو انتفض من ثوبي
وارحل الى اقاصي غريبة ..
اجل ، غريبة كأطواري
وأذوب في غيمة صيف
لا تسقط امطارا
ولا تبلـل جفافـا

أقـول ، أتمنى
ولكني لـم اعد استطيع
الا ان اكون غيمة شتاء ماطرة
تتوزع في كؤوس الازهار الربيعية .
فماذا تطلب مني
يا صديقي ، يا اعز صديق ؟
عم تريدني ان اتخلى ؟
عن أي جزء من حياتي ؟
تخاطر بنفسك من أجلي
والى أي مدى ؟
وانت عن أي جزء ستتخلى ؟

تقول .. تردد القول
انك ما كنت في يوم من الايام راهبا
وانـا ما رضيتك راهبا
في غير هيكلي
ولا ادخلت اليه بشريا
ما لم يكن متنسكا ، متعبدا
يرقى ويسمو عن كل مهازل البشر .
ان الذي يدخل هيكلي ، يا صديقي
لا اريده بشريا الا في ثوبه
فانا لا احمل للبشر في نفسي غير الشفقة

هم صنعوا الحب
ورسموا وجهه بالف لون والف شكل
وتاجروا باشكاله والوانه .
الحب يـا صديقي
قبس نوراني
يتغلغل في اوصالنا
ويلامس معن اغوارنا
فتفيض بالخير والجمال
ويتدفق منهـا العطاء .

شعاع نفاذ يخترق الظلمات
في بعض الانفس البشرية
فيصهرها ويسمو بها الى مواطن الخلود
تلك هي المواطن التي كنت ابحث عنها
وذلك هو الحب الذي انشد
فمتى اصبحت دنياك هناك
التقيتك دهري

ثوال يونان

في آخر يوم من ايام رشيد بك في المحكمة طاف على زملائه من القضاة ، ومد اليهم يده مصافحا مصافحة الوداع ، فقد اتخذ قرار باحالته على المعاش .

وحينما وقف في أعلى الدرج وهم بالهبوط تذكر ذلك اليوم الذي دخل فيه المحكمة قاضيا ، وقارن بينه وبين اليوم الذي خرج فيه من المحكمة رجلا عاديا . فقطب واطرق متألما . هبط على الدرجات في صمت واسترخاء ويأس كأنما جاء دوره لتقديمه للمحاكمة بسبب جرم ارتكبه كما قدم اليه عدد كبير من المتهمين حينما كان قاضيا .

عاد الى داره قبل الوقت الذي تعود فيه العودة اليها بساعة على وجه التقريب . وبعد ان ضغط الجرس الكهربائي فتحت زوجته « حياة » الباب ، فوقع نظرها على زوجها ، وكان قد انبأها من قبل ان ذلك اليوم هو آخر ايام خدمته في المحكمة . فاستقبلته بابتسامة طافية على يم من الحزن ، ورحبت به بطريقة اوهمته انه ما زال يتبوأ في نفسها المنزلة التي كان يتبوؤها قبل ان يحال على التقاعد . ورشيد بك وان كان يشعر انه غدا في ذلك اليوم انسانا آخر غير انه تجاهل ذلك وبادلها ابتساما بابتسام ، ودخل الدار كما كان يدخلها وهو موظف .

رشيد بك وان كان في الستين من عمره الا ان مظهره مظهر رجل في الاربعين من عمره، فان وجهه ما زال محتفظا بشيء من رونق الشباب ، وما زالت عيناه متألقتين حركتين ، وان كان راسه الذي تحف به بقايا شعره شبيها ببحيرة مشرقة السطح تحدو بها مرتفعات من الرمل .. صوته جهوري ينم على انه يتمتع بصحة جيدة وبمعدة تهضم كل الوان اللحوم الشهية والخضروات اللذيذة . وكان صدره المندفع يميز ما فيها من صدق مما فيها وكتفاه العريضتان ويداه الغليظتان منسجمة كل الانسجام مع طاولة القضاء التي كان يجلس اليها في ثقة وشموخ واعتزاز . وهو محترم مهيب له اصدقاء بين القضاة وان كان له اعداء بين المتهمين .

(رشيد بك مطلع على القوانين ملم بكل ما يجعله قاضيا خبيرا في نظر الناس ، ولكنه يتأثر بأقوال الوسطاء في القضايا ولا سيما اذا كانوا اثرياء او ذوي مناصب رفيعة . وهو يستمع الى ما يقوله له الآذن الذي كان يقف في باب غرفته حول المتهمين في اهتمام وتقدير دون ان يميز ما فيها من صدق مما فيها من كذب . وهو يتكلم في تريث وتأكيد في كل حين كانه يعتبر نفسه قاضيا



بقلم عبد الحميد الانشاصي

في خارج المحكمة كما هو قاض في داخلها . وليس له مصدر مطالعة يستمد منه المعرفة سوى الجرائد والمجلات المصورة . يقرأ الجرائد صباحا في غرفة المحكمة ، والمجلات المصورة الرخيصة الثمن في منزله بعد العشاء) .

جلس رشيد بك في غرفة الاستقبال بمنزله ، وراح يفكر في مستقبله وابنته مها وهي تلاعب اخاها شريفا . اما زوجته فقد كانت مشغولة في المطبخ . شعر الآن انه



اصبح وحيدا بعيدا عن زملائه القضاة وعن آذنه ابراهيم وعن رئيس الديوان فريد وعن المحامين والمتهمين ورجال الشرطة ، فكاد يذوب غما . واستعاد في ذهنه منظر مؤتمر القضاة الذي كان قد القى فيه كلمة عدها بعض المستمعين نفيسة فصفقوا له في حماسة وتقدير ، وان كان احد المستمعين قد جرح عواطفه بقوله بصوت منخفض: « انك جبان. انت تقول ما لا تفعل » .

ان هذا لم يكن يتوقع حدوثه — ان يغدو منفيا في منزله . لقد انقطع عن اصدقائه ومعارفه الذين تعود الاجتماع اليهم في كل يوم تقريبا . اخرج من عالم الوظيفة والقضاء كما تخرج السمكة من البحر . وجعل يفكر : كيف حدث كل هذا بسرعة غريبة ؟ الآن سقطت هيبته اذ اضحى لا يستقبل التحيات والاحترامات والانحناءات والابتسامات ممن هم في حاجة اليه . انه الآن في حاجة الى غيره من الناس ليؤنسوه ويعيدوا الثقة الى نفسه . ثم فكر ثانية : اي عمل يمكنه القيام به لا ليكسب به رزقه بل ليرد اليه شيئا من هيبته واحترامه ؟ المحاماة ؟ ولكنه يرى ان المحامي اقل شأنا من القاضي. ابعد ان كان قاضيا يضحي محاميا ؟ ان هذا يعرضه لتهكم الناس وهزئهم . فماذا يفعل اذن ؟ ان بقي على تلك الحال من الكسل والركود صدىء ذهنه وملت نفسه الحياة . وقد تختم الذكريات والحرمان حياته بموت مبكر ، فانه ما زال يذكر ان احد اصدقائه من القضاة قضى ما بقي من حياته بعد احالته على المعاش في كسل وجمود، فعجل الموت اليه واضفى عليه ثوب الراحة الابدية . أيطالع ؟ ولكنه لا يقرأ الكتب . وليس لديه مكتبة تحوي الكتب النفيسة من ابحاث وروايات ومسرحيات واشعار . انه لا يميل الى الادب والفلسفة والفن. كل ما يستطيع ان يقرأه هو الجرائد

والمجلات المصورة ، ولكنه مل قراءتها بل صار يبغضها . ان ثروة معارفه لا تجاوز حدود ما ادخره في ذهنه المتقاعد من قوانين وانظمة كان يطبقها في المحكمة . كان يشعر من قبل بتجدد فيما يملكه من تلك المعارف حينما يطلع على التعديلات التي تجري لمواد تلك القوانين والانظمة . اما الآن فهو لا يدري ماذا حدث لموادها . ومع ذلك فانه كان يرجع الى تلك القوانين والانظمة كلما حن الى منصبه في القضاء وكلما شعر بملل من ركود حالته .

وكثيرا ما كان اولاده وزوجته يرونه جالسا على كرسيه الطويل الذي تعود الجلوس عليه ملقيا ظهره على ظهر الكرسي ومائلا برأسه الى ناحية ، وقد ارتدى منامة فضفاضة عريضة الخطوط ، وبجانبه مجموعة من القوانين سقطت على الارض بعد ان ملأ عينيه نوم الراحة والكسل . ولا يستيقظ من نومه الا على لعب اولاده وصراخهم . وكان ينتهر اولاده بصوته الجهوري يأمرهم بالسكوت وملازمة الهدوء . ولكنهم لم يعبأوا به لانهم تعودوا اللعب في حرية وانطلاق دون ان يحسبوا لاحد حسابا . وكان في بعض الاحيان يستعين بزوجته لاسكات الاولاد ، ولكنهم لم يطيعوا امهم لانهم لم يتعودوا منها الحزم في اوقات اللعب . وهذا ما كان يحدوه على ان يهب ساخطا صائحا في وجوههم :

ـ شريف ! ما هذا الصياح ؟

(لقد حطمتم رأسي . حطم الله رؤوسكم !)

فأجابه شريف وهو يبكي بكاء مزعجا :

ـ لقد ضربتني مها يا ابي .

(اضربها كما ضربتني) .

ـ مها ضربتك ؟ لماذا ضربتك ؟

ـ هكذا بلا سبب .

(لانني اصطدمت بقدمها مصادفة) .

فقالت مها لابيها :

ـ لقد داس شريف قدمي بقدمه في قوة .

(انه يستحق من الضرب اكثر مما انزلته به ، ولولا وجودك هنا لصفعته صفعة تسيل الدم من خده) .

فالتفت رشيد بك الى شريف قائلا :

ـ هل هذا صحيح يا شريف ؟

(ما في ذلك ريب ، فانا اعلم ان اختك صادقة) .

فأجاب شريف بعد ان ازداد بكاء :

ـ كلا . كلا . لا تصدقها يا ابي . لقد اصطدمت قدمي بقدمها مصادفة .



عبد الحميد الانشاصي

★

فقالت مها بنفحة مؤكدة قوية :

ـ لا تصدقه يا ابي . انه كذاب .

(كلنا نعلم انه كذاب . انه يكذب كثيرا) .

فقال رشيد بك بصوت رنان :

ـ شريف ! لقد قررت ان احسم من نفقاتك الخاصة نفقة ثلاثة ايام اعتبارا من الغد .

(هذه هي الغرامة التي يجب ان تفرض عليك) .

نطق بتلك الكلمات في رزانة كأنه اصدر قرارا رسميا في المحكمة . فصاح شريف باكيا :

ـ هذا حرام . ما ذنبي أنا يا ابي؟ انني مظلوم . والله العظيم انني مظلوم .

وفي ذات يوم تأخر ابنه صبحي في العودة الى المنزل دون علمه . فأنبأته زوجته بذلك ، وطلبت اليه ان يلفت نظر ابنه الى هذا التأخر لئلا يكرره في المستقبل . فاستدعى رشيد بك ولده صبحي اليه ، وقال له في هدوء :

ـ لماذا تأخرت في العودة الى المنزل هذه الليلة يا صبحي ؟

(اخشى ان تكون قد قضيت وقتك في مغازلة احدى الفتيات يا خبيث) .

فأجابه ولده وكان واقفا امامه في ذلة كما يقف المتهم امام القاضي :

ـ لقد كنت استذكر دروسي مع احد اصدقائي يا أبي .

(لقد تفرجت على فيلم غرامي رائع في سينما الزهراء) .

فقال رشيد بك بنغمة حازمة منتهرة :

ـ هه ! تستذكر دروسك ! مع من ؟

(انك كاذب . لقد علمت من امك انك لم تتعود التأخر في العودة الى المنزل . وهذا يدل على ان شيئا طارئا شغلك) .

فأجابه صبحي بصوت ضعيف بعد هنيهة :

ـ مع يوسف حسنين يا ابي .

ـ تستذكر حتى الساعة العاشرة ليلا ؟ هه !

(قل : كنت اغازل احدى الفتيات . هذا هو الصحيح) .

ـ اجل يا ابي .

ـ ولكنك لم تتعود العودة الى المنزل في مثل تلك الساعة . أليس كذلك ؟

فارتبك صبحي في أمره ، ولم يدر بماذا يجيبه . فصاح به أبوه قائلا :

ـ اجب !

(قل الحقيقة والا كان عقابك شديدا) .

فأجاب ولده بصوت منخفض :

ـ لقد اضطررت الى التأخر لان زميلي فاهم الدروس التي استذكرها معه ، والامتحان قريب .

(اخشى ان يكون احد النمامين قد وشى بي اليك) .

فقال الوالد مقاطعا وقد زوى ما بين عينيه :

ـ لا ، ان الامتحان ليس قريبا كما تقول . بقي شهران للامتحان . فما هذا الكذب ؟ قل الحقيقة . ان الصدق يخفف العقوبة .

شعر صبحي بحرج في موقفه ، فاضطر الى مصارحة ابيه بما فعل فقال مبتسما :

ـ الحق يا ابي انني شاهدت فيلما سينمائيا .

(اخشى ان تزداد سخطا علي) .

فهز ابوه رأسه في استياء وقال :

ـ آ ! السينما ! حسن ! شريط سينمائي . اليس كذلك ؟

(لماذا لم تقل ذلك من قبل فتريحني وتريح نفسك ؟)

ثم قال في هدوء :

ـ هل من عادتك ان تشاهد الافلام السينمائية يا صبحي ؟

(ان هذا يشغلك عن دروسك) .

ـ لا يا ابي . قلما أشاهد فيلما سينمائيا .

(انه فيلم رائع قلما تعرض امثاله) .

ـ ألا تكتفي بما تشاهده من الافلام على شاشة التلفزيون ؟

(ان في ذلك اضاعة لوقتك ونقودك . هذا بطر منك) .

ثم فكر رشيد بك مليا وهو مطرق الراس قبل ان يصدر قرارا بشأن تأخر ولده في العودة الى المنزل . وبعد برهة قصيرة قال :

ـ لقد قررت ان احبسك بعد عودتك من المدرسة في المنزل بقية النهار مدة خمسة ايام .

(اعتقد انني عدلت في هذا الحكم ، فان الجزاء من جنس العمل) .

لم يكتف رشيد بك بانزال هاتين العقوبتين بولديه بل انزل بهما وبغيرهما من اولاده عقوبات اخرى في مناسبات كثيرة . فتذمر منه اولاده اذ اضحى حملا ثقيلا على قلوبهم . وكانوا من قبل مستريحين من محاسباته وعقوباته ومن رؤيته في المنزل كثيرا . لقد ابغضوا منزلهم ، وودوا لو انهم عاشوا في منزل آخر تخلصا من المراقبة التي فرضت عليهم . وابغضوا والدهم بعد ان امعن في معاقبتهم وجعل يضربهم ضربا مبرحا . لم يجدوا لهم موئلا سوى امهم . راحوا يصارحونها بما خبروه من والدهم ويرجونها ان تتدخل في الامر وتخلصهم من عذابه . والام تحب اولادها وتعطف عليهم . اما زوجها فتحبه وان احيل على التقاعد ، فانه يلبي مطالبها ومطالب الاولاد من ماكل وملبس . وهو في سعة من العيش . ان راتبه التقاعدي قريب جدا من الراتب الذي كان يجري عليه وهو قاض في المحكمة . وفضلا عن ذلك فانه يملك ثلاثة منازل يستغلها بالايجار ، وله حانوتان يبلغ ايجارهما السنوي تسعمائة دينار . لذلك لم تتدخل زوجته حياة في شؤونه الخاصة . انها لا تطلب مزيدا على ما تتقلب فيه من نعمة ورفاهية . ان احالة زوجها على المعاش لم تؤثر في مجرى حياتها . ما زالت امراة مدللة محترمة مرفهة . اما وقد شكا اولادها اباهم اليها فقد رات انها لا تستطيع ان تظل صامتة بعيدة عن التدخل بين الزوج والاولاد .

مضت عدة ايام وهي تفكر في طريقة تستعملها في التدخل بين زوجها واولادها . انها تعلم ان زوجها رجل له ماض مجيد هو مصدر اعتزازه وثقته بنفسه . وهي تعلم ايضا ان زوجها اصبح مرتبطا بذلك الماضي ارتباطا تاما ، وانه من شدة تفكيره فيه كاد يتوهم انه لا فارق بين منزله والمحكمة وبين اولاده والمتهمين . لقد خشيت ان استمرت هذه الحال ان يتأصل في زوجها مرض نفسي يستعصي على الاطباء ، وان يزداد الاولاد بغضا لابيهم حتى يتحول احترامهم له مناواة تقصيه عنهم . وبذلك يهدم بيتها ويحل فيه التصدع وفيها الشقاء . ليس في استطاعتها ان تفاتح زوجها بهذ الامر ، فهي تعلم انه عنيد . وهي امراة لا تستطيع ان تنطق بكلام صائب يترك في نفسه اثرا عميقا . انها ربيبة المنزل، وهو ربيب الحياة . واذن فابنها اسعد هو الشخص الوحيد الذي يمكنها ان تبثه ما في نفسها وتطلب اليه التوسط بين زوجها واولادها لعله يحل هذه المشكلة حلا مرضيا.

ابنها اسعد شاب مساير لبق في حديثه وتصرفاته نشيط في اعماله موفق في مصنع المنتوجات القطنية الذي يديره . لقد تلقى ثقافته في احدى جامعات فرنسا ونال شهادة في الاقتصاد . وهو حينما عاد الى وطنه لم يحاول ان يبحث له عن وظيفة ويرتزق بها ، بل انشأ مصنعا للمنسوجات القطنية . ولم تمض عليه ثلاث سنوات حتى اصبح من اثرياء المدينة المرموقين .

اجتمعت حياة الى ابنها اسعد ذات يوم مغتنمة فرصة غياب زوجها عن المنزل لقضاء حاجة له في السوق ، وكاشفته بما في نفسها . وكان الحديث الذي دار بين الام وابنها طويلا ونغمته مرتفعة . وكان صبحي وشريف ومها واقفين في الخارج على مقربة من شباك الغرفة التي كانت امهم واخوهم مجتمعين فيها . وكانوا ينصتون لحديثهما .

وكانوا مترددين بين البقاء في مكانهم ودخول الغرفة . واخيرا دخل صبحي الغرفة وهو يمشي الهوينا . فحاولت امه ان تخرجه من الغرفة، ولكنه اصر على البقاء فيها ومشاركتها في الحديث . قال لاخيه اسعد :

ـ أخي ! لقد أصبح والدنا في هذه الايام عصبي المزاج يسيء معاملتنا جميعا . وهذه حال لا تطاق . انه يعاملني كما يعامل طفلا له . وهذه لم تكن عادته من قبل . ولست ادري ما الذي طرأ عليه . ان امي تعلم كل شيء . فليس لك يا اخي الا ان تنصحه وتجعله يرفق بنا .

(انه يعاملنا معاملة العدو لا الاب) .

وبينما كان اسعد يستمع الى اخيه اذ دخل شريف ايضا وقال بنغمة عصبية :

ـ لقد حسم من نفقاتي اليومية نفقة ثلاثة ايام لسبب بسيط جدا وهو اصطدام قدمي بقدم اختي مها . وما دخوله بيني وبين اختي في هذا الشأن ؟ اننا نصطلح من تلقاء نفسينا .

(كدت مرة ارجمه بحجر من شدة غيظي) .

وهنا دخلت مها ، وقالت لاخيها اسعد :

ـ لقد ضربني ابي ذات يوم ضربا مبرحا بعصاه الثقيلة حتى وقعت على الارض ضعفا ، وقد جرحت عصاه يدي . انظر .

وشمرت عن ساعدها بسرعة ، ثم ادنته من اسعد قائلة :

ـ هه ! انظر ! انظر الى الجرح الذي احدثه ابي في ساعدي . ان جرحي لم يلتئم حتى الآن .

(كدت اعضه باسناني من شدة الغيظ) .

فتقبض وجه اسعد تأثرا، والتفت الى امه قائلا :

ـ لماذا لم تنبئيني بذلك من قبل يا امي ؟

(أالى هذا الحد انت خائفة ؟)

فأجابت حياة في حزن :

ـ لقد كنت حائرة في امري . لم ادر ماذا افعل . ها قد علمت كل شيء ، فعالج هذه المشكلة بحكمتك يا ابني .

فهز اسعد راسه متألما موافقا وقال :

ـ حسن ! اتركي الامر لي .

(اصوات من الداخل : لا يا ابي. ان اولادك هم ثمرة اتعابك وسعيك في الحياة . اياك ان تنالهم بسوء . ترفق بهم . ماذا طرأ عليك ؟ هل تأسفك على عهد الوظيفة هو الذي حولك الى كتلة من السخط والغضب ؟ ان اولادك أهم بكثير من منصب القضاء . انهم مصدر فخرك وكبريائك وسعادتك لا ذلك الكرسي المرتفع الذي كنت تجلس عليه للفصل في قضايا الناس . ان العمل الحر افضل بكثير من الوظيفة" .

(منظر في الداخل : يدخل اسعد على ابيه ، ثم يجلس بجانبه ويحادثه في لطف ورقة ويكاشفه بما جرى بينه وبين أخويه واخته . وبعد ذلك يقترح عليه ان يذهب معه الى مصنع المنسوجات القطنية الذي يديره ليريه ما انتهى اليه بسعيه وجهده . وينهض الاب ، فيمضي به اسعد الى المصنع) .

ـ ابي . انك في حاجة شديدة الى ما يرفه عن نفسك . لست اقصد الراحة الجسدية بل العمل . انه هو الذي يرفه عن نفسك . هو الذي يشغلك عن مشاكل الاولاد . أنت ما شأنك والاولاد ؟ تعال معي لنذهب الى مصنع المنسوجات القطنية .

ـ وماذا في المصنع يا ولدي ؟

ـ فيه الحياة الحقيقية . فيه الجهد المتواضع وخدمة الناس الحرة .

ـ هل تريدني ان اعمل في مصنعك بعد ان كنت قاضيا في المحكمة ؟

ـ لا ، بل اريدك ان تدير المصنع بمساعدتي . ان هذا عمل شريف يا ابي . الا يسرك ؟

ـ قه ! قه ! قه ! حسن يا بني . فليكن ذلك . لا بد ان اجد في المصنع خبرة جديدة في الحياة .

في المصنع اطلع رشيد بك على سير العمل ، وعلى الجهد الذي يبذله العمال هناك ، وعلى الانسجة التي تخرج من المصنع . كل ذلك شيء جديد في حياته . وقد سره ان يكتسب الخبرة من ذلك الشيء الجديد . سره ان يتحدث الى العمال بلغة العمال ، وان يشرف على اعمالهم ويرى ما يؤدونه من خدمات للناس في تواضع وجد واهتمام . وكان في بعض الاحيان يمازحهم ويتودد اليهم . وكان يلقى منهم لطفا وابتساما وانسا . شعر انه اصبح الآن الصق بالحياة منه حينما كان قاضيا في المحكمة ، وان المصنع هو صورة مصغرة للجانب الخير المعطاء من الحياة ـ الجانب الحافل بالعمل والجد والتواضع والخدمة الصادقة والخلق والانتاج المستمرين المتطورين . هناك لا وجود ولا ذكر للشكاوي والتهم والجنايات والاعتداءات والظلم والبغض

عمان — **عبد الحميد الانشاصي**



تاريخ صيدنايا

رحلة ، ودراسة ، وتحقيق شيخ المؤرخين عيسى اسكندر المعلوف ـ وضعه عام ١٩٢٤ ـ نشره وكتب مقدمته نجله رياض معلوف ـ ٤٠ صفحة ـ مطبعة مار افرام البطريركية السريانية في بكفيا بلبنان

الكتب الصغيرة الحجم ، لشوامخ العلماء ، هي كالنجم او كالبدر في النور والضياء . والنجم الذي نحن بصدده الآن ، هو كتاب قليل الصفحات ، يزخر بالمعلومات والفوائد والشوارد ، وذهبي الشذرات ، لشيخ المؤرخين العرب وحجتهم في النصف الاول من هذا القرن ، ومن هو رائد المؤرخين الامام غير عيسى اسكندر المعلوف ، الموسوعي الاول، طيب الله ثراه ، وجعل الجنة مثواه ؟ ومنذ سنين قريبة اقيم له في قصر اليونسكو في بيروت مهرجان ذكرى وتكريم لمضي ١٠٠ سنة على ميلاده .

هذا الكتاب الصغير الكبير ، الجميل الشكل ، المحشو حشوا بالمعلومات المنخولة ، المصفاة ، التاريخية ، اتمنى ان تكثر الكتيبات على غراره وطرازه ، في لبنان ، في التعريف بالاماكن الاثرية التاريخية الشهيرة ، تعريفا علميا تميزت به الحقيقة من الاسطورة . وما اكثر ما في لبنان من الاماكن التاريخية الشهيرة ، بل يصح القول ان لبنان كاد يكون كله كناية عن متحف ، وليس له شبيه من هذه الناحية في معظم العالم العربي . واننا نشكر لعلمائنا الجهابذة الذين عملوا ولا يزالون يعملون في هذا المضمار ،

لا بأس ، اذا سمح لي القارىء ، ان ابين اني من الذين اسعدوا بمعرفة الامام عيسى اسكندر المعلوف عن كثب ، واغترفوا منه واقتبسوا قدر ما استطاعوا ، وذلك في دمشق سنتي ١٩١٩ و١٩٢٠ وهو وقتئذ، رحمه الله ، من الكواكب في عاصمة بني امية . وفي تلك الفترة ايضا لقينا الشهاب الثاقب نابغة الشعر القممي السنامي ، الشاعر فوزي ، نجل المؤرخ الامام ، وكثرت بيننا اللقاءات الاخوية المتطلعة الى المستقبل . دمشق في خلال (٢٧) شهرا كانت محتشد الرجالات والاذهان ، والشعر ورجال المنابر ، من جميع البلاد الشقيقات : العراق ولبنان وفلسطين (الاردن كانت تابعة لسوريا حتى معان) . ومن كتب له ان يعيش تلك الفترة ، وقد ذكرتها هنا بالاشهر ، فقد كتب له ان يشهد دورا انتهت فيه اهم الخواتم وبدت اخطر الفواتح، في تاريخ العرب الحديث . واول واحة وصلت اليها القافلة العربية في الرحلة هي « سيناء والجولان » منذ اسابيع . والامم تتغير في اقل من نصف قرن ، وها نحن قد مضى علينا اكثر من نصف قرن ، حتى رأينا بعد الدجنات انبلاج هذا الفجر . وساقني الى هذا الكلام رغبتي في الاشارة الى استظلالي بظل مؤرخنا الامام عن كثب في تلك الفترة ، وهو كان من رصيد الامة العربية علميا الى حد بعيد ، ولقائي الشهاب فوزي عليهما رحمات الله .

لا احب ان تتغلب علي في هذه اللحظة اغراءات الاستطراد ، فتميل بي عن الطريق الى غير الغاية والمراد . فامامي ثلاثة اشياء ، اريد ان اتناولها الى ما يمكن من مدى موجز :

١ ـ كتاب « تاريخ صيدنايا » لمؤرخنا الامام .

٢ ـ ان اتوجه اليه بالتحية لهذه المناسبة، فان مقاومة الذكريات يصعب احيانا اخمادها اذا لم تجد لها متنفسا ولو في سطور :

٣ ـ ازجاء التحية والشكر لمن نشر الكتاب وكتب مقدمته ، نجل الامام ، الاستاذ الشاعر رياض المعلوف .

اما الكتاب ، « تاريخ صيدنايا » فلا يتبادرن الى ذهنك انه سفر مليء ، بل هو في ٣٨ صفحة من الحجم الصغير المشرق الواضح ، وحظه من الاناقة وحسن التقسيم واف وافر . وصيدنايا من حيث شهرة الاسم والمكان الى الشمال من دمشق ، حيث في منطقتها لا تزال بقية من اللغة السريانية ، الجارة الغريزة ، والرفيقة الشديدة قرباها منا ، فامر مشهور . ففيها الكنائس والاديرة والمزارات ، والتحف والصور التاريخية ، والمكتبات القديمة ، وامرها من هذه الناحية عجب ، وفي الصيف (والرقعة هناك جبلية ذات غابات وقرى ومزارع، ومناظر في تكوين الارض واعاليها ووسوطها واوهادها ، ومياهها وعيونها وبساتينها ، ومختلف شجرها وكرومها واعنابها) يقصدها الناس لطيب هوائها وثمارها ، والاستمتاع بكل ما هو خلاب فيها . هذه هي صيدنايا على الجملة ، وهي لطائفة الروم الارثوذكس ، وفيها كنيسة السيدة الشهيرة واما الاحتفالات الدينية هناك كل سنة ، فحدث عنها ولا حرج .

والسبب في وضع هذا الكتاب الشهي اللذيذ ، لست استطيع ان ابسطه للقارىء خيرا مما بسطه الاستاذ الشاعر رياض ، فقال في المقدمة ما انا ناقله هنا بمعظمه :

« تاريخ صيدنايا او رحلة ما بين دمشق وصيدنايا وذلك ما بين ٢٢ ايلول و٥ تشرين اول ١٩٢٤ هو من يراعة سيدي الوالد المغفور له الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف ، وعلى ما يظهر ان الرحلة التاريخية هذه كانت بالعربات والسيارات وركوب الخيل ، وفي هذا التاريخ وصف علمي دقيق لكل اسماء القرى ما بين دمشق وصيدنايا ، ومشتقات هذه الاسماء من اللغات السامية ، مما هو جزيل الفائدة وجليلها وتميزت هذه الرحلة بانها كانت بمعية ورفقة صاحب الغبطة المثلث الرحمات البطريرك العلامة غريغوريوس الحداد بطريرك انطاكية وسائر المشرق للروم الارثوذكس ، ورافقه فيها والدي رحمهما الله . ولم يترك والدنا العزيز من شاردة ولا واردة الا وذكرها خلد الله ذكره » .

ثم بين الاستاذ في المقدمة ضروب الفوائد العلمية من تاريخية وجغرافية ودينية مما حواه الكتاب الصغير الكبير . ولكنه قال في القسم الاخير من المقدمة :

« وانه من دواعي غبطتي وفخري الوقوف على نشر روائع والدي الحبيب ما حييت ، فمن تجديد طبعة تاريخ « فخر الدين المعني » ، ومن معجمي الاعلام والاماكن والاشخاص ، في لبنان والبلاد العربية ، الى مؤلف عنه هو العلامة عيسى اسكندر المعلوف ، الى تاريخ صيدنايا الذي نحن بصدده الآن ، ولعله سيكون البركة التي ستحفزنا الى نشر بقية مؤلفات الوالد القيمة ـ واخصها تاريخ الاسر الشرقية العام، والله ولي التوفيق » . انتهى .

ولكن المؤلف ، رحمه الله ، وقد كان موسوعيا قليل الطراز في المؤرخين العرب ، استوعب في اخبار الرحلة ، وفي اخبار صيدنايا ، لا ما يتعلق بالتفصيل من الناحية الدينية وكفى ، بل اضاف الى ذلك ما قاله الرحالون والشعراء وبعض المؤرخين من الناحية العامة العمرانية والجغرافية ، وخاصة الشعراء في وصف الطبيعة . والكتاب

مؤلف من مقدمة ، الاستاذ رياض ، ثم موضوعات الكتاب وهي : « من دمشق الى صيدنايا » ، و « تاريخ صيدنايا » و « دير صيدنايا الكبير » ، « اديار وكنائس صيدنايا الاخرى » ، « خزانة الكتب في الدير الكبير » . ومن مميزات المؤرخ الامام المعلوف في كتابة التاريخ ان اسلوبه سهل مشوق .

اما التحية الى سادن التاريخ ، الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف، فهي انه كلما كرت الايام والاعوام ، وجدت الاجيال ان كتبه خالدة باقية ، وما اثرى به لبنان من معلومات مستقرة في كتبه ، المطبوع منها والمخطوط ، لهو اجدى على لبنان ثقافيا علميا ، وبيض وجه لبنان عربيا ودوليا ، من كثير من قصور بيروت وحدائقها !!

اما الاستاذ رياض فاننا نشكر له هذه المساعي الطيبة القيمة في العمل على اخراج هذه الكنوز من مكتبة والده الامام وطبعها ونشرها. ومن الخير والبركة تجديد طبع تاريخ فخر الدين المعني ، وهو مرجع الباحثين في تاريخ هذا الامير العربي اللبناني الـذي كان الاستاذ المعلوف اول من جلاه للعالم واحاط به من جميع النواحي ، والمرجو من الحكومة اللبنانية ، ووزارة التربية والتعليم والفنون فيها ابدا طماحة الى تعميم النور للاجيال الجديدة ، ان تولي كتب « المعلوف » الفريدة عناية تفضي الى نشر امهاتها ولو تدرجا . فهذا كتاب تاريخ الاسر الشرقية ، ليس له نظير في بابه ، فالى متى يظل سجينا وشوق الناس اليه عظيم .

بقيت لي في هذا الطواف السريع ، ولـولا ضيق المجال لجئت به على مهل ، عبارة هي للاستاذ رياض ، وهي صدر مقدمته حيث قال مستفتحا : « هذا كتاب جديد ينطلق من مخطوطات مكتبتنا الى عالم النور ، وينشر بهمة ورعاية غبطة البطريرك العلامة مار اغناطيوس يعقوب الثالث ، بطريرك انطاكية وسائر المشرق للسريان الارثوذكس الجزيل الاحترام ، وعضو مجمع اللغة العربية بدمشق » .

وملاحظتي الصغيرة ، ولكنها العزيزة لدي ، وعلى غيري ، لا ريب في هذا ، هي تلك السطيرات المتواضعة في الصفحة الاخيرة ، تنعم وحدها بالصفحة وكل ما حواليها اقحوان ابيض :

انجزت مطبعة مار افرام البطريركية السريانية

طبع كتاب تاريخ صيدنايا

في ١٩٧٣/٩/١٥ ـ العطشانة ـ بكفيا ـ لبنان

من القرن السادس عشر ، وهذه الناحية من لبنان الخالد ، تعشق المطابع والكتب ، رغم ان بيروت ، باتت ولله الحمد ، حاملة مشعل الطباعة العربية على ارقى فنونها . ولكن في الجبل ، وانا ابن هذا الجبل ، اشعر باني عطشان الى « العطشانة » .

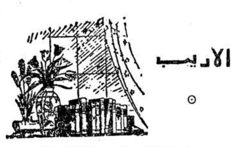
رأس المتن ـ لبنان — عجاج نويهض

•

مـن خوابي الزمن

ديوان شعر ـ لشكر الله الجر ـ الغلاف والرسوم بريشة الشاعر ـ ٢٠٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الثقافة ـ مطبعة شعاركو ببيروت

لا احسب ان قصائد مـن اشعار المعاصرين أثرت في نفسي ، مثلما اثرت بي نفحات الشعر المهجري بشماله وجنوبه . والسبب في هذا يعود مما اجده من علاقة صادقة بين اشعار المهجريين ، وحنين غربتهم، وبينما كنت اشعر به من لواعج الغربة ، وأنا بعيد عن وطني واهلي سنين طويلة كنت خلالها في دور الدراسات الجامعية .



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٨ ليرة لبنانية

•

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ١٠٠ ل. ل.

•

في الخارج العربي : ٤٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٨٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في سائر الاقطار : ٢٠ دولارا بالبريد العادي
٤٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية : ٥٠ ل. ل. كحد ادنى

في الخارج : ٨٠ ل. ل. او ٤٠ دولارا كحد ادنى

•

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

•

الادارة ٢٢٣٨١٩ — Dir : 223819
المنزل ٢٢٥١٣٩ — Die : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

•

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير أديب

فكنت كلما هزتني مشاعر الحنين لاهلي ووطني ، اعود لشاعر مهجري ، اردد في ابياته ، ما يعتلج في جنبات قلبي من لوعة وذكرى، وصرخة والم .

ان شعر المهجريين يمتاز بصفة وجدانية حية قل ان تجدها في شواهد الحنين الى الاوطان من كتاب الجاحظ او في (اندلسيات شوقي) او في نفحات ابن زيدون . فكل هؤلاء مثلوا الحنين مثلما مثله شعراء الجزيرة العربية في عهد الجاهلية ، يوم ان كان الشاعر يقف على الاطلال ويستبكي الدمن !!

اما شعراء المهجر فانهم لم يحنوا لوطن واحد ، ولاثر واحد ، ولعالم واحد من عوالم الامة العربية ، بل شملوا بشعرهم ذلك ، كل مرابع العرب في الشرق والغرب ، وكل مفاتن الجمال في المدن والريف ، وبدائع الطبيعة ، في الجبال ، والسفوح ، والبحار ، والغابات .

ناجوا بغداد ودمشق وبيروت والقاهرة وصقلية والاندلس . ودون ان يقتصر شعرهم على امة دون امة وشعب دون شعب ، اذا كانت تلك الامة ممن تربطهم معها روابط الفكر والمحبة والتقدير ، وذلك الشعب ممن يحترم مشاعرهم ويقدر كيانهم .

كان شعراء المهجر يستقبلون اخوانهم القادمين بروح المحبة والاجلال ، ويودعونهم بدموع الفراق والحسرة :

شاعر لاهف يودع شاعر   يا مآسي الوداع مالك آخر
كلما جفت المدامع في الاجفان   عادت فقطرتها المحاجر
يا اخا الروح يا صديقا على الدهر   سواء أقائم ام سائر
أنت باق هنا حنينا وشوقا   ووفاء من كل قلب وخاطر

كانوا يخلقون المناسبات الادبية ، ويبدعون روائع الابيات الشعرية ، ويكتبون جميل الصفحات النثرية ، ومن بين هؤلاء الشاعر الكبير الملهم ، والناثر البارع المتفنن ، والناقد الجريء الصريح ، الصديق شكر الله الجر .

الشاعر المهجري ، الذي لو درست شعره تجده بعيدا عن التصنع المتكلف ، والاجترار المقيت ، والالوان الباهتة .

فهو ابن زيدون اذا تغزل ، وابن خفاجة اذا وصف ، وابن اللبانة اذا رثى ، وابن حمديس اذا حن ، وابن دراج اذا ثار وابن عمار اذا اعتذر !!

ولست اقول هذا قول المحب الذي أخفى المساويء ، واظهر المحاسن ، او قول المجامل الذي ستر المعايب وأبدى الجمال ، لكنما هي كلمة الحق المجرد الذي يقدر العبقرية في فنونها ، والنبوغ في ابتكاراته ، والابداع في طبيعته ، والمحبة في قدسيتها ، والشعر في الهاماته !!

كلنا قد اخذته نشوة الشعر ، وثورة العاطفة ، وخشوع الحب، عندما قرأنا روائع جبران خليل جبران وايليا ابو ماضي وميخائيل نعيمة ورشيد ايوب ونسيب عريضة والشاعر القروي وعقل الجر والياس فرحات وفوزي المعلوف وشفيق المعلوف وجورج صيدح والياس قنصل وزكي قنصل وانطوان قازان وفيليب لطف الله ونظير زيتون وشكر الله الجر الذي ينطبق عليه قوله :

يا مثال النبوغ ، يا عبقري الفن   يا مشعل الحجى والذكاء
يا هزار الجمال،يا ساحر الارواح   يا شاعر الثرى والسماء

ان فضل الشاعر شكر الله الجر على الاندلس لا ينكره باحث ، لانه لم ينس ذلك الحبيب المفقود ، والمجد الموعود . فاصدر مجلته تكريما باسم تلك البلاد واسماها « الاندلس الجديدة » .

والواقع ان هناك تشابها بين تطلع العرب الاقدمين نحو اسبانيا وتاسيس كيانهم الادبي والسياسي فيها ، وبين هجرة العرب الى ديار الغرب ، وهناك الابتكار للموشحات الاندلسية . وفي المهجر اختراع لبعض الاساليب النثرية والنقدية والشعرية الطريفة في عالم الادب العربي الحديث .

والعرب حنوا لديار آبائهم القديمة ، والمهاجرون صدحوا على اوتار عواطفهم الرقيقة نحو بلادهم الام التي تركوها مضطرين مهاجرين.

والاندلسيون كانت لهم نواد ، واجتماعات ثقافية في قرطبة وغرناطة . وجدنا على غرارها « الرابطة القلمية » لجبران وجماعته في اميركا الشمالية ، و « العصبة الاندلسية » في اميركا الجنوبية ، التي ظهرت بكيانها ومجلتها بفكرة وحماس شاعرها الاخ شكر الله الجر واخوته الاماجد ، الذين يغني ذكرهم دون الاشارة الى اسمائهم الآن .

صدرت من قبل دواوين للشاعر منها : « بروق ورعود » و « اغاني الليل » و « الروافد » و « زنابق الفجر » واليوم يصدر له ديوان « من خوابي الزمن » . الذي جمع بين الفكرة الحية الناطقة، والجمال المبدع الخلاق ، والنغم الموسيقي الساحر !!

اني اعتقد بأن الشاعر شكر الله الجر ، قد تشابهت روحه ، ولا اقول اختلفت عن الشاعر ابن خفاجة الاندلسي . فكلاهما احب ، ووصف ، وشكى وناجى ، وتألم ، وحن ، وضحى . في حياته . وكلاهما كان يخلق من المنظر العابر ، صورة خالدة . ومن الكلمة الرخيصة ، لفظة غالية .

توج ديوانه بكلمة هي الانشودة المرنة ، والنغمة الثرية البليغة ، كانت أشبه بمقدمة اللحن الموسيقي ، لاغنية بديعة جديدة ، اخترعها موسيقي شاعر متطور !!

قال يصف « الشاعر التائه » :

الا أيها الماشي على الارض تائها   تخاطب دنيا الناس من عالم الزهر
يداك على قلب الزمان وأهله   ولحنك عزف الريح في مسمع الدهر
جناحك في الآفاق يمسح شمسها   وظلك يجري كالسفينة في البحر
لك الله، هل تبقى مدى العمر تائها   تطل على فجر وتغرب عن فجر

وهو ينظر الى « المجد » بقول قد يخالف رأي اصحاب المال ويتفق مع اصحاب الادب :

تقول وقد رانت عليها كآبة   فديتك كم تسعى وجدك عاثر
ايحرم اسباب الغنى كل شاعر   له من قوافيه الدراري منائر
فقلت : وفي بردي للمجد هزة   كفاني غنى انـي اديب وشاعر

وهو ينظر الى « الزعامة الكاذبة » نظرة الواقع فيقول :

ان الزعامات بين الناس اكثرها   مشعوذ ـ يستغل الشعب ـ دجال
والشعب طفل بسيط النفس يشغله   في حالة اليأس ـ زمار وطبال

اما الصداقة والاخاء في نظره ، فيقول عن الود الكاذب :

صاحب من الناس من تصفو سريرته   وما عداه فلا تركن الى احد
جل المودات ، ود كاذب فاذا   استصفيت قلبا فعش فيه الى الابد

وهو ينفر من القلب البليد المعربد، فيقول في « زراعة القلب» :

أخاف اذا استبدلت قلبي بآخر   تبدل حبي للتي أنا ....
واني لارضى ان اموت بعلتي   ويبقى لي الحب الذي فيه أسعد
على ان اراني حاملا في أضالعي   فؤادا بليدا او غليظا يعربد
فلا يشتهي الوجه الجميل اذا بدا   ولا .... اذ تتورد

ومن يتطلع الى النجوم في ليل صاف رائق يتذكر قول الشاعر الجر في « اصل النجوم » :

تخاصم مع جنية الغاب مارد   وكان لها عقد من الدر يلمع
فقطعه في نزوة من جنونه   وألقى به للريح والريح زعزع
وما ان اطل الليل حتى بدت لنا   حبيباته في قبة الافق تسطع

اما مدامع جفون البؤس فيقول عنها الشاعر (بزفراته الحمر) :

عجبت لليل لم تغرقه في لجج   مدامع من جفون البؤس تنسكب
ولا تصدع مما صعدته به   عن حسرة انفس انفاسها لهب
لو كان للزفرات الحمر متجه   الى الفضاء امحت من جوها الشهب

وهو يصف « الاديب الحقيقي » المجاهد الصابر بقوله :

يموت مكبا فوق وجنة طرسه   ولا يشتري الدنيا بهزة نفسه
ولو كان ممن يرتضي عن يراعه   بديلا لغطى المال قمة رأسه

وينظر الشاعر الجر الى « قيمة الحياة » بمنظار الحقيقة المجردة فيقول :

ولو لم تكن هذي الحياة عزيزة   على ما بها من موجعات ومن كرب
لما دب اعمى المقلتين على العصا   ولا سار مقطوع اليدين على الدرب

والحياة في نظره سفينة يحتاج لها « فن الملاحة » فيقول :

ان الحياة سفينة   والكون بحر واسع
من فاته فن الملاحة   لا محالة ضائع

اما قيمة الشعر ونفحته فيصفها حيث يقول :

وكل غرام ليس للشعر نفحة   واغرودة فيه يموت على الصدر
وكل فتاة لم يدغدغ جمالها   فتى شاعر ، تحيا وتقضي بلا ذكر

ووهو ينظر احيانا الى النثر الفني بمنظار الاجلال والتقدير فيقول فيه ، وفي « عروس الشعر » :

فهبوا الى النثر الطليق فانه   بعيد مرامي الفكر يستقطب الزهرا
وكم من بديع النثر من شاعرية   تبز جمالا في تزاويقها الشعرا

اما « حدود اللانهاية » عند الشاعر فلها رأي طريف انساني ، فيقول :

لو كنت تعلم يا ابن الارض ما اشتملت   عليه ذاتك من أسرار دنيانا
وان نفسك هذي ، وهي نيرة   تستوعب الكون اشكالا والوانا
وجدت ان حدود اللانهاية في   اعماق اعماق من سموه انسانا

وهو يصور حالة لضعاف النفوس ، وصفة « الاغتياب » فيقول :

كم من جبان اذا ما رحت تجبهه   بالمنطق الحر يسترضيك معتذرا
حتى اذا غبت عن انظاره اندلعت   عليك من فيه افعى تنهش الحجرا

اما اصحاب « العقول المظلمة » فيصفهم بقوله :

كم من عقول تظل العمر مظلمة   والشمس ملء سماع الكون والبصر
حتى المغاور والآبار يشملها   من طلعة الشمس نور غير منتظر

وهو ينظر الى « الزواج الشقي » نظرة كلها تأمل ، ولكن فيها رأي شاعر محب ، لا رأي واقعي متفلسف . قال :

واشقى شقيات النساء صبية   على رغمها قد ازوجوها لذي مال
وفي قلبها حب قديم لعاشق   قضى الحظ ان يقضى لفقر واقلال
فلا ترتجي من نسلها غير أبله   وليد انتفاضات ونزوة اجفال

اما « كاس الحب » عنده ، فهو كاس يفقد الرشد ، بقوله :

. . . .   فلا بلبلت عقلي ولا هيجت وجدي
ولما سقاني الدهر كاسا صغيرة   علاها حباب الحب افقدني رشدي

ونجد شكر الله الجر يصف « دروب الفكر » في وطنه لبنان ودنيا المعرفة فيقول :

كلما غازلت عيوني سطورا   شع منها الجمال ، اهتف كبرا
ان خلف السطور شعبا عظيما   ابدع الحرف للنبوغ ممرا

اما « عيون النرجس » فقد وصفها بموشح اندلسي جاء منه :

حدثينا يا ربى اندلس   عن ..... كالضحى في الغلس
بين اوتار وشاد كيس   ووجوه كن نور الانفس
ونديم من خصوم النعس   يتبع الليل بشان مؤنس
وقيان هن روح المجلس   وقدود كالغصن الميس
وعيون كعيون النرجس

ان سرد النماذج الشعرية من ديوان الشاعر المبدع شكر الله الجر ، مما يذهب ببعض الارتسامات اللطاف من محياه الشعري ، لانه قطعة متكاملة من الفن ، والتصوير ، والموسيقى ، والجمال !!

وما اعذب قوله الذي ينطبق على شعره وهو يتامل خطه في « عالم الابراج » !! وبه وصف صادق لعبقريته الشعرية :

حسبه ما زان جيد الشعر فيه من لآلي
حسبه ما عطر الآفاق من طيب الخلال
حسبه التخليد فيما خط في دنيا الخيال
شعلة تبقى على مد الليالي للجمال

هذا وان الشاعر المهجري الاخ شكر الله الجر وفي ديوانه « من خوابي الزمن » ، لا شك بانه قد احتل مكانا مرموقا في عالم الشعر ، وفي دنيا الشعراء الذين ارسلتهم العناية للبشر لوصف حياتهم ، وتصوير جمال وجودهم ، وتخفيف أتراحهم ، وبعث النشوة في عالم افراحهم !!

والى لقاء قريب لشاعر آخر نابغ من شعراء المهجر ، ولكاتب ناثر مجدد من كتابه ، ولصحافي مبدع . كي نقدم ثمرة من ثمرات عقولهم ، وتوضيح صورة ، من عوالم هجرتهم .

بغداد ـ كلية الآداب   محسن جمال الدين

•

الدكتور زكي المحاسني

باقلام الذين عرفوه في ادبه ونضاله من اعلام المفكرين والادباء ـ ١٧٦ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة الاداب والعلوم بدمشق

انها لتحية طيبة وذكرى غالية لفقيد الادب والشعر الدكتور زكي المحاسني عضو المجمع اللغوي في القاهرة ومؤلف الكتب القيمة وناشر البحوث والمحاضرات الطريفة المفيدة .

ان كتاب « تحية وذكرى » جمع ما قاله الادباء والشعراء برثائه من مختلف الاقطار العربية بعد ان اختاره الله لجواره وفياه بظلاله عام ١٩٧٢ وقد ضم الكتاب ١٧٦ صفحة وكل ما ذكر فيه لا يوفي الفقيد الكبير حقه بالنظر لما له من تصانيف نفيسة وآثار جليلة في اللغة والادب والثقافة والتعليم . وفي صدر الكتاب طبع رسمه وتلته صورة عن شهادة (الدكتوراة) في الادب قسم اللغة بدرجة جيد جدا من جامعة فؤاد الاول عام ١٩٤٧ ثم كلمة بليغة وجدانية بتوقيع الاديبة الفاضلة السيدة وداد السكاكيني وابنائه النجباء ذكوان وذكاء وسماء وجهوها الى روح فقيدهم العزيز . وتبعت تلك الكلمة صورة للفقيد الكريم مع زملائه من طلاب الحادي عشر في مكتب عنبر وجاء ازاء رسمه على اول غلاف الكتاب قوله :

فان يغترب جسمي فروحي مدوم   على قومي الحمس الاباة الضياغم
كاني على (قسيون) أرنو لمنبتي   وأرسل في الآفاق لهفة هائم

وجاء في الصفحة ١٧ تحت رسمه وهو برداء المحاماة قوله :

انا روحي تطيف في جبل المجـ   ـد وتاتي (قسيون) بالسفح تنعم
موعدي ثم افتح العين بالصبـ   ـح على مسرح الجمال المنمنم
وحسان الربيع ينسجن أحـلا   مي ندايا من شعرهن المجمجم
هو بحر الازهار في فرحة الار   ض وموج بخضرة يتململم

وجاء في الصفحة ٦٧ تحت رسمه قوله :

ما هزمنا لكي نموت ونفنى   ونبكي الحياة ان نحن عشنا
نحن قوم ما نام فينا على الضيـ   ـم أبي ولا على الدهر هنا
كفكف الشعر عن مراثي فلسطيـ   ـن فشعر الدماء أبقى واغنى
غدنا المرتجى كما رمت آت   بنضال سيغسل العار عنا

وجاء في الصفحة ٧٩ تحت رسمه مع سفير سورية في القاهرة حينذاك العلامة الامير مصطفى الشهابي بعنوان لغتي قوله :

أم البيان وبنت الخلد يا لغتي   جف اللسان وفيك الفيض كالديم
يا امتي لن تنال الفوز في طلب   الا بصونك قدر الضاد في الحرم
الله أعطاك في العرباء منطقها   لكي تكوني بها في هامة الامم

ويحتوي الكتاب على ثمانية وعشرين مقالا لادباء وكتاب مشهورين وثمان قصائد ثم لمحة من حياة الدكتور زكي المحاسني وكلمة عن اسرته وختم الكتاب بكلمة شكر من قبل آل الفقيد لمحافظة مدينة دمشق وبعض الادباء والصحفيين .

وقد تبين من اللمحة عن حياته في الكتاب وفيما ارسله الي مطبوعا على الآلة الكاتبة انه ولد عام ١٩٠٩ وحصل على الشهادة الثانوية (البكلوريا) عام ١٩٢٨ وعلى اجازة الحقوق عام ١٩٣٠ وعلى اجازة الآداب من الجامعة السورية عام ١٩٣٦ وعلى شهادة (الدكتوراة الدولية في الآداب من الجامعة المصرية عام ١٩٤٧ وانه مارس المحاماة ثم التدريس في تجهيز انطاكية عام ١٩٣٢ ثم في تجهيز دمشق عام ١٩٣٤ – ١٩٤٤ وفي كلية الآداب بالجامعة السورية عام ١٩٤٧ – ١٩٥٠ وفي كلية الشريعة بمكة عام ١٩٦٥ – ١٩٦٦ وفي كلية الآداب والتربية بالجامعة اللبنانية عام ١٩٦٦ – ١٩٦٩ .

وانتدب ملحقا في السفارة السورية بالقاهرة عام ١٩٥١ – ١٩٥٦ وعضوا في لجنة التربية والتعليم بدمشق عام ١٩٥٦ – ١٩٥٨ ومديرا للثقافة في تخطيط التعليم العالي بالقاهرة زمن الوحدة بين سورية ومصر ومديرا للتراث في وزارة الثقافة بدمشق بعد الانفصال .

وانتخب عضوا مراسلا في المجمع الملكي الادبي الاسباني عام ١٩٧١ وعضوا مراسلا في مجمع اللغة العربية عام ١٩٧٢ قبيل وفاته .

وله من المؤلفات المطبوعة سبعة عشر كتابا ومن المؤلفات المخطوطة سبعة كتب . ولا ارى بدا من الاشارة الى الهفوات الطباعية الواردة سهوا في مرثاتي للفقيد المنشورة ضمن الكتاب فقد جاء في البيت السادس عشر : من ثمار ينع القطف : (من ثمارها اينع القطف) وجاء في البيت الرابع والعشرين : مجمع ساحق الذرى : والصواب (مجمع سامق الذرى) بالميم لا بالحاء . وجاء في البيت الرابع والثلاثين : وسطر : والصواب (وسفر) وجاء في البيت الخامس والثلاثين : ذاك عهد قضى : والصواب (ذاك عهد مضى) وجاء في البيت الواحد والخمسين : كلل الله روحه : والصواب (طيب الله روحه) .

وكان بيني وبين الفقيد العزيز تبادل في الرسائل والتقاريظ الشعرية بمناسبة اهدائه الي بعض كتبه القيمة وآخرها : اساطير ملهمة : وقد كتب على الصفحة الاولى هذه الابيات بتاريخ ٥ – ٢ – ١٩٧٢ قبل وفاته بشهر ونصف تقريبا :

الى الشاعر الفذ الذي عند جبلة ... واني له عمري محضت محبتي
والبسني من حلة المجد بردة ... وقد بليت في ميعة العمر بردتي
أهديك بالريحان والروح والهوى ... وبالمال ليت المال طوع مشيئتي
فهذي أساطيري تعيش حقائقا ... أزاهير حب في شعوري وفكرتي

فاجبته بالابيات الآتية :

زكي ابدعت في نظم الاساطير ... مصورا ما حوته خير تصوير
لوحاتها جليت للناس باهرة ... يغدو بها كل راء جد مبهور
وتعجب القارىء الصادي لمنهلها ... فيرتوي من نمير دون تكدير
وينتشي من بيان سائغ حسن ... حلا بالطف أسلوب وتعبير
ويغتدي السامع المصغي لروعته ... وسحره الآسر السابي كمسحور
أكرم بصائغه أعظم بناسجه ... فانه لاديب جد مشهور

وقد نشرت عن تلك الاساطير مقالة في مجلة « الكلمة » الحلبية .

رحم الله الفقيد الغالي وعزى عنه آله والهمهم الصبر الجميل .

جبلة – سورية   رشاد علي أديب

•

ثرثرة الصباح

تأليف سعد البواردي – ٣٦٤ صفحة – مطبعة (؟)

هذا كتاب جديد ، يضعه الاستاذ سعد البواردي بين أيدي قرائه العرب ، بعد ان قدم اليهم في الماضي عددا من الدواوين والمؤلفات المطبوعة . فمن دواوينه الشعرية : أغنية العودة ، وذرات في الافق ، ولقطات ملونة ، وصفارة الانذار ، ورباعياتي . ومن مؤلفاته النثرية : أجراس المجتمع ، وشبح من فلسطين ، وفلسفة المجانين ، وهذا الاثر الاخير : ثرثرة الصباح .

ويخيل الى الذين لا يعرفون شيئا عن البواردي انه رجل عجوز طعن في السن ، ولوت الليالي كفه على العصا ، وأكل الدهر عليه وشرب ، وطبيعي ان تتجه تفكيرهم في هذا الاتجاه ، لان عهدهم بالرجل الذي يكتب هذه المؤلفات ، وينظم هذه الدواوين يجب ان يكون طاعنا في السن ، عجوزا ، قضى معظم حياته مكبا على الاوراق يسودها ، وهذا يحتاج الى زمن طويل ، وعمر مديد . واكثر ما يتجه تفكيرهم الى هذا الاتجاه هم أولئك الذين يعانون صناعة الكتابة ، وفن التأليف ، لانهم ادرى من غيرهم بما تكلفه كتابة صفحة واحدة احيانا من جهد وزمن ، ومراجعة وتنقيح .

اما الذين يعرفون البواردي معرفة شخصية وثيقة ، فيرون فيه الشاب الذي يمور شبابا ، ويطفح صحة ، وحياة . فلقد ولد سنة ١٩٥٠ م (؟) في مدينة « شقراء » من مقاطعة « الوشم » بنجد ، وفيها درس علومه الابتدائية ، ثم انتقل الى الطائف ، ودرس في « دار التوحيد » التي كانت بمثابة المرحلة الجامعية آنذاك .

وحين ترك الدراسة تنقل بين العمل الحر والصحافة ، فأصدر مجلة « الاشعاع » ثم تركها ليعمل في « مجلة المعرفة » التي تصدرها وزارة المعارف السعودية ، وظل فيها الى ان انتدب ملحقا ثقافيا لسفارة بلاده في لبنان .

ولهذا ، فليس عجيبا ان يكون للبواردي هذه المؤلفات ما دامت حياته قائمة على القلم ، والثقافة ، فعمله يتطلب منه ان يقرأ كل ما يكتبه الآخرون ، ويكتب عن كل ما يقرأ ، وهوايته الخاصة تدفعه الى مزيد من القراءة ، والكتابة .

لست أريد بهذه المقدمة ان افصل في سيرة البواردي ، وانما قصدت ان اسلط الضوء على جانب واحد من جوانب حياته الفنية ، ليتبين ان لا يعرف عنه شيئا الصلة الوثيقة بين انتاجه العلمي الوفير وعمله الرسمي .

و « ثرثرة الصباح » آخر مؤلفاته النثرية التي وصلت الى ايدي القراء كتاب من الحجم المتوسط ، بلغت صفحاته ثلاثمائة واربعا وستين صفحة . وهو مجموعة مقالات صغيرة قصيرة ، لا يتجاوز أطولها ثلاث صفحات .

وقد يلفت نظر القارىء عنوان الكتاب ، ويعجب لاختيار المؤلف كلمة « ثرثرة » لانها تعني كثرة الكلام في تخليط وترديد ، وقد جاء في الحديث الشريف : « ابغضكم الي الثرثارون المتفيهقون » ، ومن معاني « الثرثرة » كما جاء في لسان العرب : في مادة « ثرر » : الهذر . والعامة تطلق على الكلام السخيف الخاوي من كل معنى « الثرثرة » .

فهل قصد البواردي من عنوان كتابه المعنى اللغوي الذي اوردته المعاجم ، او هل صدق في عنونة مؤلفه ، وانه لا يحوي الا هذرا وتخليطا ، واذا كان قصد ذلك ، فلماذا اخرجه في كتاب ، بل هل يليق بعاقل اريب ، اديب ان يصدر الى الناس هذرا وتخليطا .

ويبدو لي ان البواردي لم يصب في عنوانه ، وكان اولى به ان يختار له عنوانا آخر ، على الرغم من انه كتب في المقدمة كلمات يقول فيها : « ... وهذا الكتيب لا يعدو ان يكون ثرثرة تتلمس خطاها الى وجدان القارىء ... ثرثرة فيها الكثير من فضول القول ، وربما ايضا القليل القليل من معقول القول ... اشتات ثرثرة ضمنتها هذه الوريقات ، لا لشيء ... الا لانها جزء من تصورات صاحبها ... من تفكيره في متاهات الزمن .. ليس الا ... » .

ومع هذا التعليل الذي لا نقبله لانه لا يتفق ومضمون الكتاب ، او مع هذا التواضع نجد المحتوى بعيدا كل البعد عن ثرثرة الكلام ،

ومفهومها ، وابعادها . ونتساءل هل موضوع : الخوف واثــره فـي النفس ، والعمل ، وبين الجد والهزل ، ووحشية الانسان ، والكلمة الطيبة ، ومعادن الناس ، والتراث الشعبي ، ومـــا الى ذلك هــي مواضيع يصح ان يقال عنها : « ثرثرة » . لقد ظلم البواردي الكتاب بهذه التسمية ، او ظلم الكلمة لانه لم يحسن استخدامها في مكانهـــا الصحيح .

في الكتاب مائة وسبع وسبعون مقالة ، تدور حــول المجتمع ، والدين والاخلاق ، والسياسة ، والحكمة . وقصر المقالات كان سببــا في كثرة عددها ، وهذا القصر جعل للكتاب ميزة على سواه من امثاله – في نظري – فلشد ما يزعج القارىء الاطالة المملة التـي يقع فيهـا كثير من الكاتبين ، فلقد يريد ان يتحدث في موضوع محدد الجوانب، وكان يكفيه ان يشرح كل ما يريد في صفحة او صفحتين ، واذا بــه يجعله فضفاضا في خمس صفحات ، او في عشر ، ولا يكـاد القارىء يصل الى نهايته الا بشق الانفس ، هذا اذا وصل الى النهاية ، ولـم يطرح الموضوع جانبا عند منتصفه .

ان الكاتب الذي يوجز ليحترم قارئه ، لانه يصون له وقته عــن العبث ، ويجعله في المقام الرفيع حين يضع بين يديه زبـدة الفكرة ، وخلاصة الرأي ، دون لف به او دوران ، او سير فــي متاهــات . والكاتب الناجح ليس الذي يقدم الفكرة باوجز عبارة فحسب ، بـل ذلك الذي يختار الاسلوب السهل البسيط الـذي يكون بمثابة جـواز المرور الى قلبه او عقله .

ولقد احسن البواردي صنعا في اختيار معانيه ، واسلوب التعبير عنها ، اذ كان سهلا سائغا ، لم يهبط الى مستوى السوقية الرخيصة، ولم يرتفع الى مستوى الجزالة والفخامة ، فكان بين ذلك قواما – في معظم الاحيان – . على ان هذا لا يعفيه من عتب كبير على تسرعه فـي بعض الاحيان في طريقة التعبير الادبي ، فقد يستعمل حروف الجـر في غير مواضعها اذ يقول : « اذكر انـي ذهبت لمدرسة الكتاتيب لاول مرة ... » والعرب تقول : ذهب اليــه ، والقرآن الكريم استعمـل عبارة : اذهبا الى فرعون انه طغى . وكذلك لا تقول العرب : « لاول مرة » وانما تقول : « اول مرة » .

كذلك لا تقول : « والقرية لا تتجه الا له » بل تقول : « لا تتجه الا اليه » .

والبواردي يسوغ لنفسه – عن حسن نية – ترديد كلمات خاطئة، او عامية ، فيستخدم لفظ « التقييم » بدلا من « التقويم » ، ولفـظ « يتارجح » بدلا من « يترجح » وعبارة « اثر عليه » بدلا من « اثـر فيه » ، ولفظ « ايدام » بدلا من « ادام » ، ولفظ « سيما » بـدلا من « ولا سيما » ... وغير ذلك .

ولقد كان بودنا ان ينظر في الكتاب قبيل انجاز طبعه ، ليتفادى الاخطاء التي يقع فيها الطابعون . وهم في معظمهم مــن ذوي الثقافة المحدودة . فيصححها ، ويصوبها ، ولا يتركها للقارىء ليكتفي باعتذار تقليدي في اخر الكتاب « حصلت بعض اخطاء بسيطة لا تخفى عـلى فطنة القارىء الكريم ، آسف لها ... واعتذر لحدوثها .. » .

وبعد ، فان مما تفخر به مكتبتي ان فيها هــذا الكتاب القيـم الثمين ، ولا أكون مبالغا اذا قلت : اني اعود اليه بين الفينة والفينة لاملأ منه قلبي حكمة ، وعقلي تفكيرا ، وعيني نورا ، وحياتي غنى .

فجزى الله سعدا عني ، وعن القراء العرب بمـا يستحق مـن مثوبـة .

بكري الشيخ أمين

●

افتراضات مضيئة على خارطة الوطن

شعر محمود علي السعيد – ١٠٨ صفحات – منشورات دار التعاونية فـي حـلب

في نهايات الحرب الكونية الثانية وتحت شتاء القصف في ظل التعسف والقهر والارهاب ، في هذه الحقبة التراجعية من تاريخ الوطن العربي، ولد صاحب الافتراضات حيث الارض لا زالت تعبق بدخان الحــرب ورماد الدمار . ولا شيء يوقظ الحقيقة . فالعالم غنيمة الاقوياء .

والشاعر عندما شب على الطوق ليعي ما حوله ... كان فــي مخيمات البؤس والتشرد ، واقع منحدر .. مؤلم .. حزين . والسقطة عميقة عميقة .. والالم كبير .. ويستمر التراجع مــرة واخـرى .. واخرى . والشاعر الحق هو الذي لا يقف موقف المتفرج من واقعه بل يولد من رحم الاحداث مسلحا بأبجديات التطلـع والتغير والثورة .

« فالافتراضات » تعي هذا التغير وترى المستقبل بكـل تعقل وضمن دلالات مدروسة وواضحة يمكن تكثيفها الآتي :

١ – الرفض المطلق لمنطق السلفية والتأقلم وسلوكية التبرير .
٢ – الوعي الكامل للواقع العربي .
٣ – الرؤية المستقبلية الواضحة .. والبديل .

فالرفض المطلق للواقع المدمر في اكثر من جدار ، وسلوكيـة التبرير ، تتجلى في اكثر من مكان في « الافتراضات » .

« من منكم لم يعشق – حلقات التبرير – لم يقتل حول المدفـأة الربانة – ساعات النوم – من منكم – وانا منكم » .

ان الشاعر الحقيقي عندما يعي واقعه يكون كجراح ماهــر يشرع المدية في قلب الداء . من هنا جاءت المفاهيم الرافضة التي تحلت بها « الافتراضات » فهي لم تصرخ .. ولم تشتم .. ولـم تتهم .. بـل تبحث وتدقق وتشير واضعة تحت المكبر جملة من الامراض المتفشية في اوصال المجتمع .

« رواية التخلف المريرة – التي – نخوض فــي غمارها – نقلب الحديث في وجوهه – تفتنا – نكرر اسطوانة – ما عاد في عروقها – حرارة » .

وتسير « الافتراضات » تسير لتقف بنا في محطة الرؤية والفعل والتغير .

« ادانة الرواسب – باللفظة الجسورة – بالطلقة النظيفة التي – لا تقبل المهادنة – بالفأس في اكتوائه بالقيظ والمرارة – يفـض فـي كسائه – بكارة الصيرورة – فريضة الخلاص – ان يطلق الرصاص – ان يطلق الرصاص » .

وتأتي بعد ذلك الحساسية الشعرية لدى الشاعر مــن خــلال امتلاكه للمعرفة والتعامل مع الشعر بفنية واسلوب معاصرين ولحظـة اللقاء والتكامل مع هذه لم تكن لحظة لملء فراغ بكلمة بل كانت لحظة تحقق تاريخي تجد في اطارها كامل تصورها للواقع والمستقبل بالرؤية والتمثل لا بالحلم الذي يقوم على افتراضات وهمية او سلفية بل على اسس الخلق والبناء المتماسكة التي يوجهها الشاعر في قنوات الوعي نحو دلالات جديدة يتبلور فيها بعث الامة وانتصارها .

واخيرا ان ديوان افتراضات مضيئة علــى خارطة الوطن – يبشر بنبوغ شاعر .

حـلب **سليمان عبد المنعم**



● الرواية في العراق : تطورها واثر الفكر فيها ـ تاليف الدكتور يوسف عز الدين ـ ٣٣٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة ـ مطبعة الجبلاوي بالقاهرة .

● نظرة في منجد الاداب والعلوم ـ تاليف عبد الله كنون ـ ١٨٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة ـ مطبعة الجبلاوي بالقاهرة .

● تنمية اللغة العربية في العصر الحديث ـ تاليف الدكتور ابراهيم السامرائي ـ ٢٦٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة ـ مطبعة الجبلاوي بالقاهرة .

● حركة النقد الادبي الحديث في فلسطين ـ تاليف الدكتور هاشم ياغي ـ ٣٤٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة ـ المطبعة الفنية الحديثة بالقاهرة .

● خمسون عاما في خدمة المسرح ـ تاليف فتوح نشاطي ـ الجزء الاول ـ ٢٤٨ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة .

● الشاعر ـ مسرحيات ـ تاليف قصي عبد الرؤوف ـ ٩٤ صفحة ـ مطبعة الغري الحديثة بالنجف الاشرف بالعراق .

● اهتمامات ـ تاليف عبد القادر عياش صاحب مجلة صوت الفرات ـ ٤٨ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة الف باء/الاديب بدمشق .

● الصيحة الكبرى ـ قصيدة ـ عمر ابو قوس ـ ٢٤ صفحة ـ (لم يذكر اسم المطبعة) ـ (صدرت في حلب) .

● الدين الحق ـ تاليف محمد حسن الحمصي ـ طبعة ثالثة مزيدة ومنقحة ـ ١١٢ صفحة ـ الكتاب الاول في سلسلة قصص من التاريخ ـ (لم يذكر اسم المطبعة) ـ (صدر في دمشق) .

● فاين الله ؟! : صيحة عبد الله بن عمر في جوف الصحراء ـ تاليف محمد حسن الحمصي ـ طبعة ثانية مزيدة ومنقحة ـ الكتاب ٢ في سلسلة قصص من التاريخ ـ ١٢٨ صفحة ـ (لم يذكر اسم المطبعة) ـ (صدر في دمشق) .

● ام ... لا كالامهات ـ تاليف محمد حسن الحمصي ـ الكتاب ٤ في سلسلة قصص من التاريخ ـ ١٢٠ صفحة ـ مطبعة دار الكتاب (؟)

● الاهتبال بما في شعر ابي العتاهية من الحكم والامثال لابن عبدالبر القرطبي ـ بقلم الدكتور محسن جمال الدين ـ ٨٠ صفحة ـ مستل من مجلة البلاغ العدد الثالث ١٩٧٣ ـ مطبعة المعارف ببغداد .

● افتراضات مضيئة على خارطة الوطن ـ شعر ـ محمود علي سعيد ـ تقديم الدكتور نعيم اليافي ـ مصمم الغلاف عبد المعطي ابو زيد ـ ١٠٨ صفحة ـ مطبعة التعاونية بحلب .

● فينوس ـ رواية ـ تاليف محمد حسين شرف ـ تقديم فؤاد لطفي ـ ١٥٨ صفحة ـ مطبعة كرم بدمشق .

● استناد نهج البلاغة ـ للاستاذ امتياز عليخان العرشي ـ قدم له وعني بنشره الشيخ عزيز الله العطاردي ـ الطبعة الثانية ـ ٨٨ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة الحيدري بطهران .

● نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة ـ تاليف القاضي ابي علي المحسن بن علي التنوخي ـ تحقيق عبود الشالجي المحامي ـ الجزء السادس ـ ٣٣٦ صفحة ـ حجم كبير ـ مجلد ـ مطابع دار صادر في بيروت .

● الوحدة العربية بين المد والجزر ١٨٦٨/١٩٧٢ ـ تاليف محمد جميل بيهم ـ ٢٤٨ صفحة ـ سلسلة المكتبة السياسية ـ منشورات الدار العلمية ببيروت ـ (مطبعة ؟) .

● ثلج الصيف ـ رواية ـ تاليف نبيل سليمان ـ ١٩٢ صفحة ـ منشورات دار الاجيال بدمشق ـ مطبعة فتى العرب بدمشق .

● الدكتور زكي المحاسني ـ باقلام الذين عرفوه في ادبه ونضاله من اعلام المفكرين والادباء ـ ١٧٦ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة الاداب والعلوم بدمشق .

● اهتمامات ـ تاليف عبد القادر عياش صاحب مجلة « صوت الفرات » ورئيس تحريرها ـ ٤٨ صفحة ـ حجم كبير ـ مطابع الف باء / الاديب بدمشق .

● اخضر .. ورق الحب ـ مجموعة شعرية ـ باللغة العامية اللبنانية تاليف راجي عشقوتي ـ ١١٢ صفحة ـ مطبعة حايك وكمال بيروت .

● تاريخ صيدنايا ـ بقلم العلامة المؤرخ عيسى اسكندر المعلوف وضعه عام ١٩٢٤ ـ نشره وكتب مقدمته نجله رياض المعلوف ـ ٤٠ صفحة ـ مطبعة مار افرام البطريركية السريانية في بكفيا لبنان .

● قلب ونار ـ قصص مؤلفة ومترجمة ـ تاليف عبد الغني العطري ـ تقديم محمود تيمور ـ ١٩٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار العلم للملايين بيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● لبنان : الامس ، اليوم ، الغد ـ تاليف العماد جميل لحود ـ ١١٢ صفحة ـ مطبعة حايك وكمال ببيروت .

● حكايات لها ـ تاليف جوزف ابي ضاهر ـ صمم الغلاف سمير ابي راشد ـ الرسوم بريشة المؤلف ـ ٨٠ صفحة ـ منشورات صدى الارز ـ مطابع الكريم الحديثة في جونية لبنان .

● نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة ـ تاليف القاضي ابي علي المحسن بن علي التنوخي ـ تحقيق عبود الشالجي المحامي ـ الجزء السابع ـ ٢٤٢ صفحة ـ حجم كبير مجلد ـ مطابع صادر في بيروت .

● نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة ـ تاليف القاضي ابي علي المحسن بن علي التنوخي ـ تحقيق عبود الشالجي المحامي ـ الجزء الثامن ـ ٣٢٦ صفحة ـ حجم كبير مجلد ـ مطابع صادر في بيروت .

● الشعر العربي بين العامية والفصحى ـ تاليف عبد الله زكريا الانصاري ـ ٢٧٨ صفحة ـ حجم كبير ـ (لم يذكر اسم المطبعة) ـ (صدر في الكويت) .

● يد المحبة ـ مجموعة قصص ـ تاليف احمد عبد السلام البقالي ـ ١٦٠ صفحة ـ الكتاب ٤ في سلسلة « والقلم » مطبوعات وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية والثقافة المديرية العامة للثقافة في المغرب ـ مطبعة ومكتبة عصرية في الرباط بالمغرب .

● كتاب الكتاب وصفة الدواة والقلم وتصريفها ـ تصنيف ابي القاسم عبد الله بن عبد العزيز البغدادي ، من رجال القرن الثالث الهجري ـ تحقيق هلال ناجي ـ ٨٠ صفحة ـ حجم موسوعي ـ مستلة من مجلة المورد العدد الثاني ـ المجلد الثاني ـ دار الحرية للطباعة مطبعة الحكومة ببغداد .

● العاصفة ـ رواية ـ تاليف غبريال وهبة ـ الغلاف بريشة الفنان جمال قطب ـ ١٥٨ صفحة ـ منشورات روايات الهلال العدد ٢٩٩ نوفمبر ١٩٧٣ ـ صدرت عن مؤسسة دار الهلال بالقاهرة .

● من خوابي الزمن ـ مجموعة شعرية ـ شكر الله الجر ـ الغلاف والرسوم بريشة الشاعر ـ ٢٠٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار الثقافة ـ مطبعة شعاركو ببيروت .

● اطايب شعرية ـ مجموعة شعرية ـ برنردس القزي ـ ١٢٠ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة المراحل في سان باولو بالبرازيل .

● صور من الحضارة العربية الاسلامية : ١ ـ الاحذية والنعال ـ تاليف الدكتورة ابتسام مرهون الصفار والدكتور بدري محمد فهد ـ ٩٨ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة النعمان في النجف الاشرف بالعراق .

● جبران خليل جبران : في دراسة تحليلية تركيبية لادبه ورسمه وشخصيته ـ تاليف الدكتور غازي فؤاد براكس ـ ٤٩٤ صفحة ـ حجم كبير ـ ويضم لوحات جبران ـ دار النسر المحلق للطباعة والنشر (بيروت) .